الدوافع الفطرية

فى الفكر اليهودى

عرض ومناقشة

إعـداد

د/ منى محمد سليم

﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾

(يوسف : من الآية٧٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

الدوافع الفطرية[1] فى الكفر اليهودى وموقف الإسلام منها

المقدمة؟

الحمد لله خلق الإنسان وجعل له الأديان هداية ورحمة حتى يعرف الواحد الديان، قال تعالى: ﴿ **رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً**﴾ [2].

وأشهد أن لا إله إلا الله جعل كل نبى يأتى لقوم مخصوصين حتى يكون شاهداً عليهم يوم لقاء رب العالمين، قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً**﴾ [3].

وأشهد أن سيدنا محمد عبد الله ورسوله، ختم الله به النبوات، وجعل رسالته مهيمنة على باقى الرسالات إلى يوم الدين، قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [4].

اللهم صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد.. ..

فإن دراسة الأديان المقارنة تمثل رغبة فى صدر الباحث المسلم نظراً لما يرتبط بها من معرفة كيفية تداول الأفكار التى اخترعها كثير من الناس ثم أضافوها إلى ما جاء من عند الله معتقدين إمكانية قبول العقلاء زيفها.

---

(١) هى: الدوافع التى تنتقل عن طريق الوراثة فلا يحتاج الإنسان إلى اكتسابها، ويشترك الإنسان وعدد من الحيوانات فى هذه الدوافع.

(٢) سورة النساء آية ١٦٤.

(٣) سورة الإسراء آية رقم ٧١.

(٤) سورة سبأ آية ٢٨.

ولما كان التراث اليهودى قد امتلأ بالكثير من تلك القضايا التى انشغل بها وأودعها كتاب اليهود ومؤلفوها ضمن الأسفار التى اعتبروها مقدسة فقد وقفت على العديد من الدوافع التى تبرز فى السلوكيات اليهودية بروزاً متطاولاً ثم بان لى الآثار السلبية التى نتجت عنها ومن ثم كان اختيارى لدراسة الدوافع الفطرية فى الفكر اليهودى وبيان المصادر التى قامت عليها والنتائج التى تنتهى إليها ثم بيان موقف الإسلام منها، ففى ذلك رأيه يمكن أن تفيد الباحث المسلم كما تفيد الباحث فى الأديان المقارنة وبخاصة أن العالم اليوم تتناقل أخباره من أقاصيه إلى أقاصيه فى وقت قليل من الزمن، وباتت الأفكار تمثل لدى البعض العقائد الأساسية وبالتالى فقد رأيت من الواجب الشرعى تبنى هذه الموضوعات حتى يتضح للجميع الموقف.

ويتكون هذا البحث من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

والله أسال أن يسدد على الخير خطانا وأن يوفقنى إلى ما يحب ويرضى، إنه نعم المولى ونعم النصير.

الفصل الأول

التعريف بالدوافع وأقسامها

الفصل الأول

التعريف بالدوافع[1] وأقسامها

أولاً: الدافع فى اللغة:

الدافع لفظ لغوى له دلالة اصطلاحية يرتبط باللغة ارتباط وثيقاً ومن أبرز معانى الدوافع: الاضطرار والإلجاء.

وكل من وقع فى شىء من ذلك كان مضطراً إليه وملجأ بسببه كذلك الاسراع للغاية قالت العرب:

اندفع الفرس فى سيرة إلى غايته[2]، وكذلك الحماية يقولون فلان دفع عن فلان الأذى، بمعنى حماه، ووقاه شر الآخرين[3].

ومن معانى الدافع القوة: نظراً لما فيها من الصلابة والمثابة[4]، ومنه قوله: ركن مدفع، وكل محرك لشىء يمكن أن يسمى بالدافع. فدافع القرب إلى الله مثلا يحجب الإنسان عن الانغماس فى مخالفة أمر الله بينما دافع الانغماس فى الشهوات يدفع صاحبه إلى مخالفة أمر الله وبالتالى فالدافع هو المحرك للشىء أو فى مواجهته[5].

---

(١) وردت مادة الكلمة د.ف.ع. فى القرآن الكريم حوالى ست مرات تكفل المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ببيانها من الآيات.

أ. محمد فؤاد عبد الباقى، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن باب الدال ص٢٦٠، طبعة مكتبة الغزالى بدمشق، توزيع مؤسسة مناهل العرفان. بيروت.

راجع: للعلامة سعيد الخورى، أقرب الموارد الفصح العربية والشوارد جـ١ص٣٣٩، طبعة مرسلى اليسوعية – بيروت.

(٢) راجع للعلامة ابن منظور: لسان العرب جـ٢ ص١٣٩٤هـ، باب الدال ط ٤ ١٩٨٥م.

(٣) راجع للأستاذ الطاهر أحمد الذاهى، مختار القاموس سنة ٢٠١٢ طبعة أولى الحلبى ١٩٦٤م.

(٤) الأب بولس معلوف اليسوعى، المنجد فى اللغة، والأديان والعلوم ص٢١٨ ط ١٩ المطبعة الكاثوليكية – بيروت.

(٥) راجع للعلامة الزمخشرى أساس البلاغة باب الدال فصل الفاء ص٣٧٠، طبعة مطابع الشعب، راجع المعجم الوجيز باب الدال فصل الفاء ص٢١٥، ٢١٦، وللعلامة الفيومى المصباح المنير جـ١ ص٣١٠ – ط الثانية، المطبعة الأميرية ١٩٠٩م.

مما سلف يتضح أن الدافع هو قوة محركة تقود الإنسان إلى غاية معينة وتستعمل الوسائل المتعددة بغية الوصول إلى الهدف سواء أكان ذلك على سبيل الابتداء أو على سبيل الانتهاء.

ثانياً: الدافع فى الاصطلاح:

تتعدد التعاريف الاصطلاحية طبقا للمنحى العام الذى يرد لدى صاحبه ومن ثم كان فى الاصطلاح هو عبارة عن [أتفاق قوم على تسمية الشىء بإسم ما ينقل عن موضعه الأول كما يعرف بأنه اتفاق طائفة على وضع اللفظ بازاء المعنى [١].

كما أن الاصطلاح قد يفهم على أنه اتفاق جماعة مخصوصة فى علم من العلوم أو فن من الفنون على استخدام لفظ أو ألفاظ بعينها فى معنى أو معانى بذاتها، ومن ثم سألمح إلى بعض الاصطلاحات فى تعريف الدافع على النحو التالى:

أ: ذهب علماء الفيزياء إلى أن الدافع هو:

[القوة المؤثرة على الأجسام المعبرة عن التغير فى كمية المحرك له حيث إن القوة تساوى المعدل الزمنى للتغير فى كمية التحرك] [٢].

كما أن الفيزياء تمثل جانباً مهما من العلوم الطبيعية وبالتالى تظل التعريفات قائمة فيها بين العكس والطرد؛ لأن الفيزياء هو العلم الذى يبحث فى ظواهر الطبيعة المادية كالحركة والثقل والحرارة والضوء والصوت والكهرباء[٣].

ب: كما يعرف الدافع فى الاصطلاح الفلسفى بأنه: المحرك وأكثر ما يطلق فى الاستعمال إنما يكون عن الدوافع الانفعالية واللاشعورية من حيث إنها

(١) العلامة السيد الشريف الجرجانى، التعريفات باب الألف ص٢٢ ط الحلبى ١٩٣٨م.

(٢) راجع كتاب الفيزياء المقرر على الفصل الأول الثانوى ص٤٨، طبعة وزارة التربية والتعليم ١٩٩٨م.

(٣) جميل صليب، المعجم الفلسفى ص١٧.

التى تحرك نشاط الفرد وتوجه إلى غاية معينة وبالتالى صار الدافع فى علم الفلسفة لا ينفصل عن مفهوم الحركة(١).

وبناء على ما سبق يكون لفظ المحرك شاملاً بكل من المفهوم فى الدافع والحركة معاً.

ج: يذهب علماء النفسى إلى أن الدافع هو: الفكرة التى تستخدم فى كيفية توضيح سلوك الكائن الحى ويتوقف عليه الأمر فى تغيره وتعديله نظراً لاعتماد الدافع فى ظهوره على الطاقة المختزنة بالجسم كما هو الذى يوجهها(٢).

وهذا التعريف كأنه يضع قاعدة يضبط عليها السلوك ومن ثم كان بحاجة إلى تحديد ماهية الدافع ويبدو أن هذه المسألة شغلت علماء النفس كثيراً بدليل ورود تعريفات عديدة للدافع داخل هذه المؤلفات علماً بأن علم النفس أحد العلوم النظرية ويمكن تعريفه: [بأنه العلم الباحث فى الحالات النفسية من سرور وألم وارتياح وانقباض وفرح، وحزن، وتصميم وتردد كما يبحث فى العمليات المختلفة والاستعدادات الطبيعية والمكتسبة(٣).

كما ذهب موراى إلى أن الدافع عامل داخلى يستثير سلوك الإنسان ويواجهه بغرض أن يحقق التكامل فيه(٤).

وبهذا يكون الدافع ممثلا للقوة الداخلية الكامنة فى النفس الإنسانية وتظهر آثاره على السلوك من الناحية العملية(٥).

---

(١) د/ فوزى على خليل، المصطلحات الفلسفية ص٦٥ ط أولى، دار الوفاء – بيروت ١٩٧١م، وراجع د/ جميل صليب المعجم الفلسفى جـ١ ص٧٥٧.

(٢) د/ مصطفى فهمى الدوافع النفسية ص٣٩، ط ٥ مكتبة مصر ١٩٦٠م.

(٣) د/ عبد العزيز القوصى: أسس علم النفس ص٣ ط أولى ١٩٨١م..

(٤) أدوارد موراى: الدافعية والانفعال ص١٨٣، ط دار الشروق ترجمة هانى صابر.

(٥) راجع د/ فرج عبد القادر طه، أصول علم النفس الحديث ص٨١، ط أولى ١٩٨٩م، دار المعارف.

د: يذهب الفقهاء إلى أن الدافع هو: ما يتولى الخصم حتى يكون حجة له فى مواجهة خصمه عند الحاكم الشرعى، باعتبار أن هذه المسائل منصوص عليها فى الشريعة الإسلامية(١).

من ثم يبدو الدافع من الناحية الاصطلاحية بمثابة القوة الكامنة داخل النفس الإنسانية بحيث تقودها إلى ما تشاء سواء استطاع هذا الكائن القيام بنوع من التعديل فيها أم لم يستطع.

ثالثا: أقسام الدوافع:

يذهب العلماء إلى تقسيم الدوافع باعتبار الفطرية والمكتسبة منها إلى قسمين:

يدول حول كل قسم منهما العديد من الأنواع، ومن ثم أشير فى عجالة إليها طبقاً لما يلى:

القسم الأول: الدوافع الفطرية:

وهى التى يولد الإنسان مزودا بها على أساس أن الفطرة هى أصل الخلقة التى يقوم عليها الموجود المخلوق أول أمره ولا يمكنه الانفصال عنها(٢).

ويعرف الدافع الفطرى بأنه المنسوب إلى الفطرة وهو يقابل المكتسب على أساس أن الفطرة هى الجبلة التى [يكون عليها كل موجود فى أول خلقه وهى البداءة التى بدأ الله خلقه عليها] (٣).

فى ذات الوقت فإن الدوافع الفطرية يمكن الوقوف على معانيها باعتبارها [ما تنقل عن طريق الوراثة ولا يحتاج الفرد إلى تعلمها واكتسابها](٤).

---

(١) راجع د/ على حسب الله: أصول التشريع الإسلامى ص١٣٥، ط رابعة دار المعارف القاهرة، د/ عبد الكريم زيدان – المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ص١٨١، ود/ محسن الشرونى خصائص الشريعة الإسلامية ص٦٨، ط دار المتنبى بالعراق ١٩٦٨م.

(٢) راجع د/ محمود عبد المقصود طه، الدوافع الإنسانية وموقف علم النفس العام منها ص٣، ٤ ط أولى ١٩٨٥م.

(٣) د/ جميل صليب – المعجم الفلسفى جـ٢ ص٥٥٣، ط ١٩٨٢م.

(٤) راجع د/أحمد عزت راجح، أصول علم النفس جـ٧٠ ص٧، ط دار الكاتب العربى بالقاهرة ١٩٦٨م.

وإذا كان الدافع الفطرى هو الذى يتم عن طريق الوراثة ولا يأتى من خلال التعلم والاكتساب فإنه ينطبق على العلوم البيولوجية علم الحياة فى جانب متعلق بالجينات ويكون الوصول إلى طبيعة ذات الدافع مرجعه إلى الطبيعة والخلقة وليس التطبع والاكتساب من حيث إن الإنسان مدنى بطبعه والطبع غير الطبيعة [فالطبع يكتسبه المرء عن طريق البيئة ويسمى التطبع أحياناً] (١).

كما أن هذه الدوافع الفطرية تتنوع إلى:

النوع الأول: الدوافع الفطرية الأولية وتعرف بأنها: استعدادات يولد الفرد مزوداً بها وتعتمد فى إثارتها على الحالات الجسمانية الفسيولوجية التى تمثل البناء الداخلى(٢).

وبالتالى فهذا النوع من الدوافع الفطرية توحى بوجود قدرة على التكيف داخل الكائن الحى بما يسمح له ببلوغ غايته من خلال توجيه منبهات أو إرسال مثيرات تغذى المشاعر الفطرية الموجودة بحيث ينهض إلى مهامه فى سهولة ويسر.

النوع الثانى: الدافع الفطرى الإضافى، ويعرف بأنه [ما ينقل عن طريق الوراثة ومن خلاله يتم فصل السلوك الفطرى عن وسيلته باعتبار المفهوم وليس الواقع] (٣).

ولما كان هذا الدافع الفطرى ليس أولياً فقد ظهرت حوله دراسات عديدة طبقا للمناهج العلمية التى تبحث فى مسألة الدوافع على وجه العموم.

النوع الثالث: الدوافع الفطرية الأساسية، وهى التى تعمل على الحفاظ على الكيان العضوى للفرد والدافع عن فرديته البيولوجية بناء على قاعدة أساسية هى:

---

(١) راجع للعلامة عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة ص١١٩، بدون حاشية.

(٢) د/ مصطفى فهمى: الدوافع النفسية ص٥٠.

(٣) راجع د/ زكى يونس صبرا، الدوافع النفسية وآثارها على السلوك العام ص٤٣، ط أولى ١٩٨٥م.

[أنه من أجل أن نعيش يجب أن نتفادى عوامل الهدم فينا كما يجب علينا أن نمد الجسم بالطعام والشراب كدافع الجوع والعطش والنوم، فإنها جميعاً دوافع فطرية أساسية(١).

النوع الرابع: الدوافع الفطرية الثانوية، وهى التى تعمل على بقاء النوع مثل دافع الجنس ودافع الأمومة، وهى فطرية من حيث وجودها فى الإنسان معبرة عن الوظائف البيولوجية المشتركة بينه وبين باقى أنواع الحيوان(٢).

ولعلى أستشهد على جملة تلك الدوافع بأنها من أصل الفطرة بقول جل شأنه: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّـهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾ (٣)، وهى فطرة التوحيد الخالص لله رب العالمين ويستدل على فطرة تلك الدوافع بقوله ﷺ: ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، وينصرانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل ترون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة ﷺ واقرؤوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا** ﴾ (٤).

أخلص مما سلف:

(١) أن الدوافع الفطرية الأولية والإضافية والأساسية والثانوية تصب كلها فى مصب واحد وتبدو على الكائن الحى من خلال مظاهر بعضها يتعلق

(١) راجع د/ أحمد عزت راجح، أصول علم النفس ص٧٠، د/ فرج عبد القادر طه، أصول علم النفس الحديث ص٨٦، ط أولى ١٩٨٨م، د/ مصطفى فهمى الدوافع النفسية ص٥٠.

(٢) راجع د/ أحمد عزت راجح، أصول علم النفس ص٧٣، د/ مصطفى فهمى الدوافع النفسية ص٥٠.

(٣) سورة الروم آية ٣٠.

(٤) أخرجه الإمام البخارى صحيح البخارى جـ٤ ص١٧٩٢، كتاب التفسير باب سورة ألم غلبت الروم حديث رقم ٤٤٩٧، والإمام مسلم صحيح مسلم جـ٤، ص٢٠٤٧، كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة حديث رقم ٢٦٥٨.

بالجنس الناتج عن الرغبة فى حب البقاء أو الحب الناتج عن الجنس والهرب الناتج عن الرغبة فى النجاة والمقاتلة الناتجة عن المحافظة على الحياة[1].

(٢) يمكن القول بأن الدوافع الفطرية قد خلقها الله ﷻ داخل الكائن الحى لتؤدى وظائف بذاتها يمكن أن تؤدى لصالح الفرد إن هو استقام على ما شرع الله ويمكن تلقى به فى المهالك إن هو تركها إلى هوى الشيطان.

القسم الثانى: الدوافع المكتسبة:

وهى التى [يكتسبها الفرد بعد ولادته من خلال علاقته بالآخرين والتطور الزمنى للإنسان وما يكتسبه من خبرات متنوعة ومواقف يتعرض لها طبقا لطبيعة كل مرحلة عمرية[2].

وهذه الدوافع المكتسبة يمكن التعديل فيها نظر لارتباطها بالاكتساب وهى تتنوع إلى أنواع:

النوع الأول: الدوافع المكتسبة الأولية وتعرف بأنها: [التى تنشأ فى ظل الظروف المختلفة للفرد وتتأثر إلى حد كبير بالبيئة المحيطة به ولذا نسمى دوافع معقدة] [3].

ولا يخفى أن هذا النوع يمكن فهمه على ارتباطه بالدوافع والاستعدادات الفطرية.

---

(١) هذه تدخل فى نطاق الدوافع التى تمثل رد الفعل على الكائن الحى، د/ أحمد عزت راجح، أصول علم النفس ص٧٤، د/ مصطفى فهمى الدوافع النفسية ص٥٧.

(٢) راجع د/ محمد عثمان نجاتى: القرآن وعلم النفس ص٢٤ ط ١٩٨٢م، د/ سيد عبد الحليم مرسى، النفس المطمئنة ص٦٨ ط ١٩٨٣م، وراجع لسركين باخوت الدراسات النفسية ص٣٥.

(٣) د/ مصطفى فهمى الدوافع النفسية ص٥٨، وهى معقدة نظراً لتداخل بعضها فى بعض طبقا للوضع الزمنى والحصار البيئى واختلاف الطبقات الاجتماعية.

نظراً لنمو تلك الدوافع فى ثنايا سابقتها تحت تأثير العوامل الاجتماعية ويكتسبها الفرد عن طريق التعلم والخبرات اليومية أثناء تفاعله مع البيئة الاجتماعية [1].

كما أن هذه الدوافع تتمثل فيها [خبرات الفرد والثقافة والبيئة التى يعيش فيها حتى يكون صورة لها] [2].

وما من شك فى أن الدوافع المكتسبة الأولية تقوم على أكتاف الفطرية ولها بها ارتباط وثيق من الناحية المتعلقة بالتأثير والتأثر.

النوع الثانى: الدوافع المكتسبة الإضافية وهى: [التى يكتسبها كل فرد بالإضافة إلى خبراته اليومية فهى إضافية بالنسبة له نظراً لكونه الفاعل لها أو هو المستقبل لما يجئ منها][3].

فى ذات الوقت فإن الدوافع المكتسبة الإضافية تحمل هى الأخرى على الأولية والفطرية فكأنها تمثل رأس الهرم بالنسبة لما سبق وتأثر فى الإنسان الواعى تأثيراً قوياً.

النوع الثالث: الدوافع المكتسبة الأساسية وهى: [التى يكتسبها كل فرد استقلالا سواء أكان ذلك عن طريق خبراته اليومية أم عن طريق تفاعله الاجتماعى ومهما اختلفت الحضارة التى ينتمى إليها فإنه لا يترتب عليها سوى تأكيد الانتماء ويرتبط هذا بكل من المحاكاة وما شبه ذلك [4].

وما من شك فى أن الدوافع المكتسبة الأساسية يحصل عليها الفرد الواعى من خلال ملكاته العقلية وقدراته الثقافية وطموحاته النفسية بغرض تحقيق آماله التى عقد العزم على الوصول إليها.

---

(١) د/ أحمد عزت راجح: أصول علم النفس ص٩٠.

(٢) د/ سيد عبد الحليم مرسى: النفس المطمئنة ص٧٣.

(٣) راجع لجورج مدسين: علم النفس والدافعية ص٤١، ترجمة أمل المراكبى ط دار الهدى ١٩٧٥م.

(٤) د/ أحمد عزت راجح أصول علم النفس ص٩١.

النوع الرابع: الدوافع المكتسبة الثانوية وهى: [الطور الأرقى الذى يبلغه الإنسان عندما يتجاوز مرحلة البداوة حيث صار حاضراً فى المكان الذى استقر به وتوطن وصحبه امتلاك قيم ونظم وعادات وأفكار وعلوم مثلث بناءه الحضارى](١).

فى ذات الوقت فإن الدوافع الثانوية تنميها الحضارات المتميزة التى تعمل على تدعيمها ومنه دافع السيطرة والتملك ودافع الاعتداء والعدوان فإن هناك حضارات بذاتها تنمى تلك الدوافع بل وتحس على القيام بها (٢).

ولا شك أن الحضارة المتميزة فى جانبها المادى إنما تحتاج إلى ضابط روحى يرد غرورها ويعدل من تطرفها ويصرفها إلى ما فيه الخير العام على أساس أن الحضارة تقوم على جانبين أحدهما الثقافة ويراد بها [تثقيف العقل وتهذيبه بالمعارف والمعلوم اليقينية التى يظفر بها حتى ترقى مداركه] (٣).

بناء عليه تكون الدوافع المكتسبة الثانوية ذات تأثير فعال بالنسبة لحياة الإنسان.

القسم الثالث: الدوافع الشعورية:

وهى التى [يدرك الفرد الواعى وجود علاقة بينها وبين سلوكه الذاتى](٤).

وكل دافع شعورى يكون الفرد الواعى متفهما أسبابه ونتائجه بحيث تكون النتائج ترجمة حقيقية لما يجرى داخل هذا الفرد على ناحية الإيجاب أو السلب(٥).

---

(١) د/ محمد عمارة، الإسلام والعروبة، ص١٣، طبعة الهيئة المصرية ١٩٥٦م.

(٢) أ. توفيق محمد سبع: قيم حضارية فى القرآن الكريم، عالم ما قبل القرآن جـ١ ص٢٢، ط دار المنار بالقاهرة.

(٣) د/ محمد الغزالى: قضايا حديثة فى الفلسفة الحديثة ص١٧، ط ٢ ١٩٩٧م.

(٤) د/ نجيبة الخضرى، علم النفس والإحصائى النفسى ص١٢١، ط أولى ١٩٧٢م.

(٥) راجع: د/ أحمد عزت راجح، أصول علم النفس ص٩٢، د/ مصطفى فهمى، الدوافع النفسية ص٦٣.

ولا شك أن الدافع الشعورى كلما كان راقيا جاءت نتائجه إيجابية نظراً لقيامها على الإرادة والقصد، وذلك من شأنه توفير أكبر قدر من الحماية الواعية لتلك التصرفات العاقلة.

القسم الرابع: الدوافع اللاشعورية:

وهى التى لا يدرك الفرد العلاقة بينها وبين سلوكه نظراً لكونها مجموعة من الاستعدادات والعوامل والعمليات التى تؤثر فى سلوك الفرد دون أن يكون له شعور بها، كالذكريات والمخاوف المكبوتة إذ الفرد لا يعرف أنه يكبت مشاعره أو لماذا يكبتها [1].

ومن الواضح أن الدوافع اللاشعورية يمكن أن يبدو فيها كل من الصراع الداخلى والكبت النفسى؛ لأن الصراع يكون نتيجة للإحباط ويعقبه الكبت من حيث إن عملية الكبت لا تتم إلا نتيجة عملية الصراع والصراع فى حد ذاته حالة نفسية [تنشأ عن وجود رغبتين لا يمكن تحقيق أحدهما إلا فى وجود الأخرى وبالتالى يعيش الإنسان فى توتر وانفعال وضيق] [2].

ويتولد عن الدوافع اللاشعورية ما يتم فى الخفاء دون دراية من الفرد نظراً لوجوده بين الأنا الأعلى[3] والهوى.

كذلك تأتى من الدوافع اللاشعورية عمليات الضغط الداخلى ومنها الكبت الذى يعرف بأنه محاولة الفرد الواعى تجنب الواقع أو السبب المؤلم سواء أتم ذلك عن طريق طرد الدوافع الشعورية المؤلمة إلى اللاشعور أو محاولة النسيان[4].

---

(١) د/ نجيبة الخضرى علم النفس والإخصائى النفسى ص١٦٦.

(٢) راجع: أحمد عزت راجح، أصول علم النفس ص٩٥.

(٣) **الأنا الأعلى:** هو جملة الأفكار والاتجاهات والميول والقيم التى امتصها الفرد من الأسرة التى نما بها والبيئة المحيطة به وهو يسعى إلى أن يتركز فيه.
راجع: لجورج فيدر الدافعية والأمراض النفسية ص٨٥، ترجمة إيمان عزب ١٩٨٧م.

(٤) د/ عباس محمود: علم النفس العام ص٨٨، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٩م.

كذلك تبدو عمليات العقد النفسية ناتجة عن دوافع اللاشعورية ولذلك عرفت العقد النفسية بأنها: [زمرة من الأحداث والذكريات المؤلمة المكبوتة المشحونة بشحنة انفعالية شديدة من الخوف والغضب والاشمئزاز ويبدو السلوك الناتج عنها بارزاً تبدو فيه عمليات العسر والفجاجة والاندفاع] (١).

مما سلف تبين أن هناك دوافع فردية تبدو فى سلوكيات بعض الأفراد ويمكن اكتسابها طبقا للقاعدة الفردية وارتباطها بالقدرات العقلية والفروق الفردية أيضاً وكلما كان الإنسان الواعى قائماً بشريعة الله أمكنه اكتساب الأمور الإيجابية وتحريك عواطفه على ناحية شرعية ومن ثم يبدو كل من الحب والحنو والانتماء الناجح بجانب الشفقة (٢).

وكلما كان ذلك الفرد بعيداً عن تلك القيم الإلهية فإنه يسقط تحت أقدام هوى النفس التى تنزع به إلى الهلاك وتلقى به فى الهاوية وينطبق عليه قوله تعالى: ﴿**أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً**﴾ (٣)، وقوله تعالى: ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ**﴾ (٤).

ومن ثم أخلص إلى وجود الدوافع من الناحية الفطرية والمكتسبة الشعورية واللاشعورية وإن المرسلين جاءوا من قِبل رب العالمين لتمكين الناس من الاهتداء

والكبت: منه الكبت القبلى والبعدى وكل منهما يمثل صورة من صور الدوافع اللاشعورية فى جانب الكبت والصراع ولذلك له أثار سلبية تظهر على الفرد والجماعة.

(١) عباس محمود عوض: علم النفس العام ص٩٨، د/ نجيبة الخضرى، علم النفس والاخصائى النفسى ص١٦٨.

(٢) د/ أحمد عزت راجح، أصول علم النفس ص٩٧.

(٣) سورة الفرقان الآيتان ٤٣، ٤٤.

(٤) سورة الجاثية آية ٢٣.

لما فيه مصالحهم طبقاً للقاعدة العامة إن الشرعية ما جاءت إلا لمصلحة العباد فما هو أثر الدوافع الفطرية فى السلوكيات اليهودية ذلك ما سوف أتناوله فى الفصل الثانى إن شاء الله تعالى.

الفصل الثانى

أثر الدوافع الفطرية فى السلوكيات اليهودية

الفصل الثانى

أثر الدوافع الفطرية فى السلوكيات اليهودية

الدافع الأول البقاء:

تتعدد دوافع ملامح البقاء فى الفكر اليهودى تعدداً واضحاً ليس بقاء الفرد الإنسانى وإنما بقاء إله ذلك الفرد الإنسانى، نظراً لوقوعهم فى دائرة تجسيد الإله ووصفه جل علاه بأوصاف بنى البشر فكائن الإله فى الفكر اليهودى إله يجب أن يبقى فى ذاته وفى ملائكته وفى غيره ثم ينصرف ذلك إلى أفراد الشعب اليهودى نفسه ومن ثم سأتناول ما يلى:

أولاً: تشبيه الله تعالى بخلقه: يعتقد مؤلفو العهد القديم بأن الإله الإسرائيلى خلق الإنسان على صورة الإله نفسه بحيث يكون الإنسان امتداد لهذا الإله يذكر العهد القديم [خلق الله الإنسان على صورته] (١).

فالإله خلق الإنسان على صورة خلق الإله ولما كان الإله على تلك الصورة فهو يمشى، ويجلس ويأكل ويشرب، وينام، ويضحك، ويعمل ويتعب بل ويشم، ويتذوق، ولما كان دافع البقاء فى الإنسان يسعى بداخله للتخلص من كل السلبيات التى تعوقه عن الوصول إلى أغراضه والطعام والشراب من عوامل البقاء الرئيسية للإنسان فإن الرب لدى اليهود أكثر حرصاً على رغبته فى بقاءه عن طريق تجويد طعامه وشرابه بقدر ما يسعده من الطعام الذى يحافظ على وجوده(٢).

والرب حتى يظل باقياً عندهم فلابد أن يكون طعامه وشرابه من ذوى الروائح الطيبة ولا يصح أن يكون عن طريق غير ذلك، فيذكر العهد القديم أن

---

(١) العهد القديم سفر التكوين الإصحاح الأول ٢٧، طبعة دار الكتاب المقدس ١٩٩٥م.

(٢) راجع: ليوتا كاسيل – التوراة كتاب مقدس أو جمع من الأساطير، ص١٧، ترجمة د/ حسان ميخائيل طبعة أولى.

نوح ﷺ [بنى مذبحاً للرب وأخذ من كل البهائم الطاهرة وكل الطيور الطائرة، وأصعد محرقات على المذبح فتنسم الرب رائحة الرضا] [1].

وهذا الإله الإسرائيلى لا يتنسم طعاما من اللحوم إلا إذا كان على شواء ولذا فهو يميل إلى القرابين من البهائم المختلفة، البقر والغنم[2].

ويقرر العهد القديم تلك المسألة فيقول: [إذا قرب إنسان منكم قربانا للرب من البهائم فلابد أن يكون من البقر والغنم تقربون قربانكم محرقة وقود رائحة سرور للرب][3].

إن اليهود قد تشكلت عقليتهم الثقافية من خلال البلدان التى نزلوا فيها اعتباراً من الماضى البعيد ورأوا أن أهل تلك البلاد يعبدون آلهة وثنية فلم يفتهم قبول تلك المعتقدات والتأكيد عليها بل والتمسك بها إلى أبعد مدى، يقول صماوئيل اتنجر: [كان اليهود منذ عصور بعيدة يبتهلون فى صلواتهم بالأدعية لحكامهم اللذين ألهموهم طبقاً لما اكتسبوه فى الماضى البعيد من الأمم التى نزلوا فيها][4].

وباتت رائحة الشواء التى تقدم للرب من معالم صور البقاء بل إن الرب عندهم يطلب أكل الصحيح من تلك الحيوانات.

[يقول العهد القديم من قرب من البقر ذكراً أو أنثى فصحيحاً يقربه من الرب ويوقدها بنى هرون على المذبح عند المحرقة التى فوق الحطب الذى على النار وقود رائحة سرور للرب [5].

---

(١) العهد القديم سفر التكوين إصحاح ٢٨ ، ص٢٢.

(٢) سيرغى. أ. توكاريف الأديان فى تاريخ شعوب العالم ص١٩٨، ترجمة د/ مهندس محسن فاضل ط دار الأسد ١٩٩٨م.

(٣) العهد القديم سفر اللاويين الإصحاح الأول ٢، ٤، الفقرات ٩، ١٠.

(٤) صموئيل اتيخر، اليهود فى البلاد الإسلامية ص١١، ترجمة د/ أحمد الرفاعى، عالم المعرفة، الكويت العدد ١٩٧، مايو ١٩٩٥م.

(٥) العهد القديم سفر اللاويين الإصحاح الثالث فقرات من ١/٧.

ويؤكد العهد القديم أن الرب الإسرائيلى يلزم أصحاب القرابين إذا كانت من الغنم أن يقوم بتقريبها وألا يقاد لها وإحداث عملية الشواء الكاهن نفسه طعام وقود الرب(١).

أما إذا كان القربان من الماعز فإن صاحبه يحمله إلى المذبح ثم يقوم الكاهن بأحداث الطعام ولوقود ثم يقوم بعملية إعداد هذا الطعام حتى يكون هناك سرور لكل الشحم واللحم الذى يقدم للرب (٢).

إن الرب اليهودى حتى يبقى فلابد أن يأكل ويحب أنواع اللحوم المختلفة كما يحب رائحة شواءها ولا مانع لديه من قبول الطيور على سبيل القربان وبالتالى تعددت القرابين الحيوانية التى تقدم لذلك الرب الإسرائيلى الذى يتلذذ بما يأكل (٣).

ومن المؤكد أن هذه الإلهة التى تأكل بذلك الحجم من الأكل لا تقف عند طيور الحيوانات وإنما تأكل الطيور المميزة فيذكر العهد القديم أن الرب يفرض على الفرد أن يقدم قرباناً للرب [من الطير أيضاً محرقة يقرب قربانا من اليمام أو من أفراخ الحمام ويوقده الكاهن على المذبح فوق الحطب الذى على النار محرقا ورائحة سرور للرب] (٤).

لقد ثبت فى ضمير هؤلاء أن حب البقاء لما كان دافعاً فطرياً فى الإنسان وقد وصفوا الله بما وصفوا به الإنسان فقد أجروا عليه ما يجرى على ذات الإنسان من رغبة المأكل والمشرب كما أجروا عليه من قبل فكرتى الجهل والعلم أو الجهل والمعرفة طبقا لما اكتسبوه من الأمم الماضية فسفر التكوين يقول: [فى البداء خلق الله السموات والأرض وكانت الأرض خربة وخاوية وترف على وجه العمر

(١) يفرق أصحاب الفكر اليهودى بين تقديم القرابين بقراً أو تقديمها غنما فإذا كانت بقراً فلابد أن يكون الكهنة من بنى هرون أما إذا كانت غنما فيقدمها كاهن المذبح.

(٢) العهد القديم سفر اللاويين الإصحاح الثالث فقرات ١٠/١٧.

(٣) راجع لأدوارد شيفر التراث اليهودى قراءات حديثة ص٨١، ترجمة: عليا عبد الرحمن، مراجعة د/ ناصر فضل.

(٤) العهد القديم سفر اللاويين إصحاح ١ ، ١٤/١٧.

ظلما وروح الله يرفرف على وجه الماء وقال الله ليكن نور فكان نور ورأى الله النور أنه حسن وفصل الله بين النور والظلمة، ودعا الله النور نهاراً والظلمة دعاه ليلاً فكان مساءاً وكان مساءاً يوماً واحد] [1].

أصل الفكرة ونموها:

وما من شك فى أن اليهود قد اقتسبوا عملية دافع البقاء للإله من الخرافات والأساطير التى اعتبرها اليهود مقدسة ورسمت هذه الخرافات وتلك الصور فى عقولهم أشياء عديدة[2].

كما أن تلك الأفكار قد أخذوا غالبيتها من الأمم التى نزلوا فيها، يقول الشيخ الإثناوى [أن: اليهود نظروا إلى الديانات الوثنية فى الأمم التى نزلوا إليها كالمصرية القديمة والبابلية فأخذوا عنها كل ما يتعلق بالآلهة الباطلة ثم دونوها فى كتابهم بأيديهم فضلوا وأضلوا][3].

كما أن إله إسرائيل يتلذذ بالأطعمة التى تجئ فيها المخبوزات من الدقيق والزيوت فهو كالبشر فى طعامهم يحب الفطائر ويشتهيها ويرغب فى أن تكون بجوار الأطعمة الأخرى كوجبة مكملة لها يقول العهد القديم: [وإذا قرب أحد قرباناً إلى الرب يكون مع قربانه شىء من دقيق يسكب عليه زبداً و يجعل عليه لباناً حتى تكون الرائحة ذكية ويوقد الكاهن تذكرها على المذبح وقود رائحة سرور للرب] [4].

لماذا يأتى اللبان فى هذه المخبوزات التى يتمسك اليهود بحاجة الرب إليها يقول قاموس الكتاب المقدس [إن اللبان له امتياز عن غيره فهو صمغ عطر أبيض اللون طعمه حريف حين يشتعل ينبعث منه رائحة عطرة وهو أحد المواد

(١) العهد القديم سفر التكوين الإصحاح الأول ١/٥.

(٢) راجع للشيخ على محمد حكمت الله، العقائد الوثنية ص١٧٧، ط أولى ١٩٢٥م.

(٣) الشيخ محمد عبد العظيم الإثناوى السعد زبدة الأقاويل فى التوراة والإنجيل ص٦٥، المطبعة الميمنية ١٤١٢هـ، دراسات فى اليهودية ص١٤٥، ط أولى ١٩٨٣م .

(٤) العهد القديم سفر اللاويين ٢، ١/٣.

التى يتكون منه دهن المسحة الذى يستعمل فى تكريس الكهنة لوظيفتهم المقدسة، كما يضاف إلى الزيت ثم فى النهاية يوقد وهو يستخرج من عدة أشجار فى الهند والجزيرة العربية حيث تشق قشرة الشجرة ويجفف العصير الذى يسير لبان] [1].

من الواضح أن إله إسرائيل يلتمس غذائه التماس الملتفت إليه الذى يشتهى وجوده بدليل رغبته فى أن يكون المخبوز قد تم من خلال التنور ثم توضع تلك المخبوزات على هيئة أقراص من دقيق تتحول إلى فطير ملتوت بزيت أو إلى رقاق فطير مدهون بزيت أما إذا تمت التقدمة على الصاج من غير تنور فلابد من فتحها وسكب زيت عليها أما إذا كان القربان مقدم على طاجن فمن دقيق بزيت ثم يأخذ الكاهن التقدمة تذكرها ثم يوقد على رائحة سرور للرب [2].

إن الإله اليهودى كما صنعه الفكر الإسرائيلى لا يقبل الطعام الاقتصادى، وإنما يقبل الطعام المميز مهما كلف بنى إسرائيل على أساس أنه قد اختارهم له وخص نفسه بهم فصارت العلاقة بينهم وبينه علاقة خاص ومختص وهو ما يعرف فى اليهودية بعقيدة الاصطفاء الإلهى، من ناحية أن الرب اختارهم له فإذا انعكس الأمر عرفت بقضية الاختصاص الإلهى أيضاً على أساس أنهم هم الذين اختاروا الرب ليكون لهم[3].

ويعتقد اليهود أن الرب لا يمكن أن يكون غير ذلك نظر لسلوكياتهم الشاذة وطبيعتهم المتعنتة، وبالتالى فالإله اليهودى إله له سلطات تتعلق بالمأكل والمشرب ينافس فيها كل من يقترب منه يدل عليه ما يتمسك به زعماء اليهودية

(١) قاموس الكتاب المقدس ص٨١.

(٢) العهد القديم سفر اللاويين ١٠/٤.

(٣) راجع للباحث عبد الباسط حسن خليل، عقيدة الاصطفاء لدى اليهود وموقف اليهود منها ص٩٥، رسالة ماجستير بمعهد البحوث الأسيوية – جامعة الزقازيق ٢٠٠٠م، قسم الأديان المقارنة.

الأصولية، من أن العهد القديم قال: [زتناً ترش به الدقيق ثم تقدمه للرب فريضة أبدية باقية ومعه الحمل الذى يسبق التقدمة][1].

ويقول العهد القديم أيضاً: [كلم الرب موسى قائلاً هذا قربان هرون وبينه الذى يقدمونه للرب من دقيق تقدمة دائمة نصفها صباحاً ونصفها مساءاً على صاج تعمل بزيت مربوكة تأتى بها فرائض تقدمة والذى يقدمها هو الفتاة حينئذ يقع سرور للرب] [2].

ولا يخفى أن إله إسرائيل كما يحب المخبوزات واللحوم إنه يحب أيضاً تنظيم الوجبات على المائدة ووضع المقبلات بين أنواع الطعام طبقا لما شاهده اليهود فى البلاد التى نزلوا إليها وكان يحكمها ملوك رتبوا أنفسهم على عمليات الغذاء وضبطوها فيما يتعلق بنوعيته والموائد التى تقدم عليها [3].

كما لا يخفى أن مواعيد الطعام اليومى للرب تسير ثابتة نظراً لحرصه على دافع البقاء فإذا كانت التقدمة من غنم فلابد أن يكون كل خروف قد بلغ حولين أحدهما يقدم صباحاً والثانى يقدم فى العشية[4].

يقول الشيخ عبد المحسن الطمبولى: [إن الخرافات قد ملئت عقول مؤلفى الأناجيل فضموا إليها واعتبروا هذا المضموم عقائد دينية وما هو إلا أفكار وهمية وأخرى شيطانية وتعبر فى ذات الوقت عن أمرض نفسية وإن اليهود كانوا يكتمون خرافات ولا يتحدثون عن معتقدات[5].

(١) العهد القديم سفر حزقيال إصحاح ٤٦، فقرة ١٥/١٤.
(٢) العهد القديم سفر اللاوين إصحاح ٢٢/١٩/١٦.
(٣) د/ عبد العظيم سيد سلطان، دراسات فى اليهودية ص١١٩، ط ١٩٣٧م.
(٤) العهد القديم سفر الخروج إصحاح ٢٩، فقرات ٣٩/٣٨.
(٥) راجع للشيخ عبد المجيد الطمبولى، الخرافة وأثرها فى عقائد الوثنية ص١٦٥، ط ٢ ١٩٦٣م.

لقد كان فيلون اليهودى أكثر فهما لتلك السلوكيات التى خلعها هؤلاء اليهود على إلههم حين قال: [إن الإله والحكمة هما أب وأم العالم وإنهما اختارا لقيادة العالم نواب عنهما وإن هؤلاء النواب هم الطوائف اليهودية] (١).

إن ما ذهبوا إليه اليهود من تأليه إله يأكل ويشرب ويشتم رائحة الشواء قد وجد مثله فى العصر الحديث أبان القرن الماضى؛ حيث يذكر أ/ عبد الرحمن عزام، إن تاريخ أديان البشر يوجد فيه الشرك الغالب حيث عدد الناس الألهة ونوعوها وأقام المبتدعون والمفسدون أنفسهم قوامون على الإله وسند وحراس بل وجعلوا أنفسهم وكلاء ونواب واتخذوا سلطان هذه الألهة سلطان لهم ثم تآمر ذوى الأغراض الخبيثة فنشأوا على تضليل العامة(٢)، وانتهوا بوضعهم فى أسر مجموعة من الخرافات والسخافات وكان الكهنة وأضربهم من الوكلاء والمرشدين خزنة الأسرار الدينية هم فى الواقع الإلهة المتصرفون فى المجموعات البشرية المأثورة(٣).

يذكر اليهود أن الرب يحب أن يقدم له الأطعمة فى مناسبات تتسم بالشهود الجماعى حتى ينظروا كيف يحافظ هذا الإله على وجوه، فهو يلتسم منهم تقديمات يومية وأخرى أسبوعية وثالثة شهرية ورابعة حولية ومناسبات وأعياد سنوية يقول العهد القديم: [فى رؤوس شهوركم تقدمون تقربون ثور ابن بقر وكبش واحد وسبع خراف حولية صحيحة](٤).

---

(١) الأستاذ يميل بلهى: الآراء الدينية والفلسفية لفيلون: ص١٦٣، ترجمة محمد يوسف وعبد الحليم النجار، مكتبة الحلبى ١٩٥٤م.

(٢) هذه المساندة تبدو فى الديانات الوضعية دون تردد وكل ديانة كان لها أصل سماوى ثم انحرفت عنه تبدو فيها تلك المساندة فاضحة أصحابها كالحال مع اليهود والمسيحية وأحزابها.

(٣) عبد الرحمن عزام الرسالة الخالدة ص٢٥، لجنة التعريف بالإسلام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٩٤م.

(٤) العهد القديمة سفر العدد ٢٨، ١٢/١١.

لماذا جاءت تلك التقديمات فى رؤوس الشهور والجواب أن اليهود حينما نزلوا بلاد الرافدين وجدوا بعض المجتمعات الوثنية تحتفظ بفكرة الشهور ثم تأتى فى نهايتها فتحدث نوعاً من الضجيج والصخب اعتقاد منهم أن كل شهر له وداع وإن وداعه لا يكون إلا بالبكاء عليه ولهذا فهم يحزنون فإذا جاء مقبل الشهر الذى يليه أحدثوا أنواع من البهجة والفرح عرفت لديهم بأسماء عديدة منها تالية رأس الشهر(١).

كما أن الهند كانت نموذج بموروثات فاسدة بعضها يتعلق بتأليه رؤوس الشهور فلما نزل اليهود إليهم أخذوا منهم ونقلوا عنهم وسارت تلك المعتقدات يتم تداولها بينهم تداول الأموال والمنقولات وبات انفصالهم عنها من الأمور التى لا يمكنهم القيام بها(٢).

أضف إلى ما سبق أن اليهود حينما التقوا ببقايا المجتمعات البدائية فى الماضى البعيد أخذوا منهم أفكاراً اعتبروها معتقدات بدليل أن بعض العادات التى كان لها نوع من السيادة فى المجتمع البابلى، برزت لها صور ومظاهر فى المعتقدات الدينية اليهودية وباتت أحد السلوكيات البارزة فيهم كفكرة وجود كبير للعالم يتم الاحتماء به حتى تحولت إلى عقيدة بابلية عرفت باسم الحماة العشائريين. وظلت تلك العقيدة سارية فى المجتمعات المختلفة فى إطار صور توارثية أخذها اليهود وتمسكوا بها(٣).

(١) راجع د/ جوتا فريدمرتن اسكورت، الفكر الشرقى القديم العقائد والعبادات جـ١ ص٣٤٨، ترجمة د/ زكريا عبد العظيم ط ١٩٣٧م.

(٢) راجع: للشيخ على محمد حكمت الله، العقائد الوثنية وتطور ج١ ص٤٥، الدار الإسلامية ١٩٣٥م.

(٣) راجع: لأدوار فيشر اليهود الماضى والحاضر ص٨١، ٨٢، ترجمة صابر زهدى ١٩٦٥م.

الدافع الثانى: الشهوة « الجنس »:

يذهب مفكرو العهد القديم إلى أنهم امتازوا عن باقى الأمم بكونهما جاءوا من أبناء الرب حتى وإن كانت أمهاتهم من بنى البشر اعتقاداً منهم بما وضعوه فى سفر التكوين؛ حيث يقول: [لما بدأ الناس يتكاثرون على الأرض وولد لهم بنات، رأى أبناء الله بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا أبناء الرب لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا من بنات الإنسان، فقال الرب: لا يدين روحى فى الإنسان إلى الأب لزيغانه وهو بشر][1].

ولما كان أبناء الرب قد دخلوا ببعض بنات البشر وأنجبن لهم فقد صار هؤلاء يدعون أنفسهم أبناء الله نظرا لكون آباءهم أبناء الرب وبالتالى نظروا إلى باقى الأمم على أنهم خدم لهم ليسوا كجنسهم وهو ما يعرف بالامتياز النوعى للجنس النظرى [2].

وإذا كان الامتياز الجنسى النظرى لا يقوم على أصول صحيحة فإن اليهود تمسكوا به وصاروا يرددونه والله سبحانه وتعالى بين فساد أقوالهم من خلال قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [3]، قوله ﷺ: « يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، ألا لا فضل لعربى على أعجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى » [4].

(١) العهد القديم سفر التكوين الإصحاح ٦، الفقرة ١/٥.

(٢) الجنس معناه تميز قوم على قوم بناء على أنهم انسلوا من طائفة متميزة خلويا ويعرف باسم التعصب للجنس، راجع د/ محمد حسين موسى الغزالى الديانات الوثنية جـ١ ص٤٥.

(٣) سورة الحجرات آية ١٣.

(٤) مسند الإمام أحمد ط الفكر دمشق، رواية سعيد الجريرى أيام التشريق.

وما روى أن صحابى كان يمزح مع صديقه لحداثة عهده بالإسلام وكانت أم صديقه سمراء البشرة فقال له: « يا ابن السوداء إلا أن الرجل قد شكى أمره لرسول الله، قال ﷺ: يا أبا ذر أعيرته بأمه.. .. إنك امرؤ فيك جاهلية » (١).

مما سلف تبين أن العنصر اليهودى يحرصون كل الحرص إلى الإساءة لغيرهم من خلال ترديدهم لفكرة امتيازهم فى أصولهم الجنسية عن غيرهم، ثم إن الجنس قد يراد به مباشرة العلاقات الجسدية من الناحية الإحيائية البيولوجية، سواء كان ذلك فى الإنسان أو غيره، وهو الذى انتشر بشكل واسع فى الفكر اليهودى فإذا عرفنا أن دافع الجنس من الدوافع الفطرية الأساسية وخاصة من خواص الإنسان الاجتماعية تبين لنا لماذا يتمسك به اليهود ويسيرون على ممارسته ومن ثم أتناول ما يلى:

تعريف الدافع الجنسى: يذهب العلماء إلى أن الجنس العملى هو ممارسة علاقة جسدية بين الذكور والإناث، فيما يتعلق بالناحية الإحيائية ويتم فيها تلاحم فعلى سواء كان فى الإنسان أو فى غيره المهم أنه من نوعه (٢).

ويذهب أهل العلم إلى فروق كثيرة بين الأفراد فى شدة هذا الدافع الجنسى أو ضعفه، وهى راجعة إلى العادات النفسية المختلفة التى يتعلمها الإنسان إن الجنس عامل مشترك بين جميع الأفراد الطبيعيين، ولا عبرة لأصحاب الشذوذ لأننا نعطى قواعد عامة كما نتمسك بالقوانين والمبادئ الكلية(٣).

(١) صحيح البخارى باب المعاصى من أمر الجهالية حديث رقم ٣٠، صحيح مسلم الإيمان والنذور ١٦٦١.

(٢) د/ لويس إسكندر، عمليات التلقيح فى الإنسان والحيوان، دراسة بيولوجية ص١٤، ١٥، ترجمة وفاء صالح ١٩٨٥م.

(٣) د/ عثمان لبيب فراج، الصحة العقلية ص٣٠، ١٩٨٠م مكتبة النهضة.

بناء على ما سلف يكون الدافع الجنسى العملى إحدى الدوافع الفطرية الأساسية فى الإنسان وإن كان كذلك فى بعض الحيوانات [١].

والذى يعنينى هو دافع الجنس يأخذ طرقاً كثيرة، وسبل متنوعة بغية إشباعه [لدى كل الأفراد والشعوب المختلفة كما يتقيد بقوانين وقيم وتقاليد تتناسب مع هذه الشعوب] [٢].

كما يهمنى التركيز على أن دافع الجنس العملى قد غطى سحابة يوم الفكر اليهودى وامتلأت به مؤلفات أصحابه حتى قال ليوتاكسل: [إن مؤلفى العهد القديم ما يخرجون من عملية جنسية قذرة إلا وينغمسون فيما أكثر منها قذارة [٣].

وحتى أتابع تلك الأفكار من خلال مصادرها يمكن تناولها طبقاً لما يلى:

(١) الأشخاص العاديين:

حكى العهد القديم أن أضياف لوط ظنهم أشقياء قومه من بنى البشر، كانوا غاية فى الوسامة فهرعوا إليهم يريدون معاشرتهم جنسياً إذا كان هؤلاء الأشقياء يأتون الذكران من العالمين تاركين ما أحله الله لهم من نساءهم، وقد ذكرهم نبى الله لوط بكل ذلك ولم يعتبروا قال تعالى: ﴿ **وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ**﴾ [٤]، وقوله تعالى: ﴿ **وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ**﴾ [٥]، وقوله تعالى: ﴿ **وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ**

(١) ذهبوا الكثيرون من علماء البيولوجيا والمتخصصون فى علم الحياة إلى أن هذا الجنس بالنسبة للإنسان والحيوان سواء فعلى أساس منه يتم التناسل ويستمر الأفراد فى الوجود أ.هـ.، أهمية الجنس فى الكائن الحى ص٧، ترجمة اسعد لطفى – ط دار نصار ١٩٦١م.

(٢) د/ عثمان لبيب فراج، الشخصية والصحة العقلية ص١٨٣.

(٣) نيوتاكسل: التوراة كتاب مقدس ، أم جمع من الأساطير، ص٣١٨، ٣١٩.

(٤) سورة الأعراف آية ٨٠، ٨١.

(٥) سورة النمل آية ٥٤.

وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (١).

ويؤكد العهد القديم أن ضيوف لوط بمجرد أن دخلا بيته وقبلما اضطجعا أحاط بالبيت رجال المدينة رجال سدوم. من الحدث إلى الشيخ فنادوا لوط، وقالوا له: « أين الرجلان اللذان دخلا إليك الليلة، أخرجهما إلينا لنعرفهما». (٢).

لقد كان هؤلاء الرجال الأشقياء اعتادوا على ممارسة الجنس المحرم مع الذكور والإناث حتى انتشر ذلك فى بنى إسرائيل وكان من بين الذين يعلنون عن ذلك رجالا بليعال(٣).

وكلمة نعرفهم فى مصطلحهم يريدون بها المعاشرة الجنسية وهذا مما يفرض على كباحثة التأكيد على أن ما ذكروه يمثل سلوك شاذاً ويعبر عن عقد مرضية ويخرج بالإنسان السوى عن الجادة إلى الهاوية.

أما لماذا فلان هؤلاء اللذين يمارسون الجنس العملى المحرم مصابون بعقدة الكترا وهى التى تظهر نتيجة رغبة لا شعورية تبدوا لدى الولد والبنت إذ تتعلق بالبنت بوالدها وتسعى بالاستحواذ به وتبدوا نافرة لأمها وكذلك يفعل الولد وهى تصرفات شاذة نظراً لارتباطها بالرغبة الجنسية وليس التعلق الروحى (٤).

ويستمر هذا التعلق حتى يصير الأب لذات البنت بمنزلة الزوج، فإذا أرادت دوافعها الجنسية عن طرقها كان لها ذلك وإن استخدمت فى سبيل الوسيلة إليه كل صلة ممكنة وكذلك يفعل الابن مع أمه، ما دام مصاب بتلك العقدة (٥).

---

(١) سورة العنكبوت آية ٢٨، ٢٩.

(٢) العهد القديم سفر التكوين الإصحاح ١٩ الفقرة، ٦/٤.

(٣) كلمة بليعال: اسم عبرى معناه شرير، أو عديم الفائدة، وكان هذا اللقب يطلق على كل من كان زميما ولئيماً لا يخاف الله ولا يهاب إنسان، راجع القاموس المقدس، ص١٨٥.

(٤) د/ نجية الخضر، علم النفس ص١٧٠.

(٥) د/ عثمان لبيب فراج، الصحة العقلية ص١٨٥، وليم جيتس الشخصية السوية، وعقدة الكترا ص٢٤، ٢٥، ترجمة فاطمة زكريا مراجعة د/ خيرى فوزى.

من المؤكد أنه لا إنقاذ للبنت أو الولد من تلك المسألة إلا بالتربية الرشيدة والتمسك بالقيم الدينية الراقية حتى تبقى الأمور سوية وتحقق مصالح البشرية.

ذهب سفر التكوين إلى أن هذه العقدة تحكمت فى بنتى لوط حين صعد إلى صوعر [وسكن فى الجبل وداخل إحدى المغارات أقام وكان معه ابنتاه وراءت البنتين أن الرجال قد انقطعوا وأن النسل سوف ينقرض وأن الرغبات الجنسية قد انسعرت وتحتاج إلى من يطفئ هذا اللهيب].

تشاورت البنات فى الأمر، ثم انتهت إلى إشباع رغبتهما عن طريق آباهما بعد أن تغيب كل منهما الأب عن وعيه، فسقتا فى تلك الليلة آباهما الخمر فأقبلت الكبرى فضاجعته، ولم يعلم باضطجاعهما ولا بقيامهما وفى الليلة التالية سقتا آباهما خمراً وفعلت الصغرى ما فعلت الكبرى(١).

وبذلك يتحقق لكل منهما الإشباع الجنسى بل كان لكل منهما نسل من أبيهما ومن ثم يعترف العهد القديم بتلك العلاقة الشاذة ويدعمها بقول سفر التكوين: [صعد لوط من صغر صوغر وسكن فى الجبل وابنتاه معه لأنه خاف أن يسكن فى صوغر فسكن هما المغارة هو ابنتاه، وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة أهل الأرض هلم نسقى أبانا خمراً ونضطجع معه فنحيى من أبينا نسلا فسقتا أباهما خمراً فى تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها.

ولم يعلم اضطجاعها ولا بقيامها وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة إنى قد اضطجعت البارحة مع أبى نسقيه خمراً الليلة أيضاً فادخلى اضطجعى معه فنحى من أبينا نسلا فسقتا أباهما خمراً فى تلك الليلة أيضاً وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها فحبلت ابنتا لوط من أبيهما

(١) عادل المعلم التوراة والقرآن مقارنة نصية جـ١ ص٥٤، ط الشروق الأولى ١٩٩٩م، وراجع العهد القديم حيث يذكر ذلك وبشكل متوسع فيه.

فولدت البكر ابنا ودعت اسمه "موأب" وهو أبو المؤابين إلى اليوم، والصغيرة أيضاً ولدت ابنا ودعت اسمه "بنى عمى"، وهو أبو بنى عمون إلى اليوم(١).

والعهد القديم يرجح تلك العلاقة الشاذة التى نشأت بين الأب وبنتيه ويؤكد وجود ثمرة لتلك العلاقة تمثلت فى وجود نسل لكل من البنتين وينسب ذلك الحمل إلى والدهما وفى ذلك دعوة صريحة شاذة إلى إشباع الدافع الجنسى لدى اليهود عن طريق الأب والأخ والعم والابن مع الأخت والأم والابنة والعمة، وهو ما يعرف بزنا المحارم من الناحية العلمية والشرعية أيضاً.

الدافع الثالث: « عشق المحارم »:

المحارم هم كل من جاءت النصوص الشرعية بإبقائه بعيداً عن دائرة الإباحة وبناء عليه فكلمة محرم معناه ما لا يحل له إتيانها فى علاقة مما تنشأ عنه الذرية ونظراً لأن اليهود قد دأبوا على ارتكاب الموبقات فلم يخجلوا من تسجيل تعلق الأبناء بالأخوات وتعلق الأمهات بالأبناء وتعلق الآباء بالبنات المهم أن شهوة الجنس تكون هى المسيطرة على عقل هؤلاء وأولئك بناء على قاعدة أن الدوافع الفطرية ومنها الجنس قاضية على كل محاولة عقلية وفوق كل تشريع سماوى ومن ثم فسنتناول ما يلى:

(١) سفر التكوين الإصحاح ١٩، الفقرة ٣٠/٣٨.

أولاً: عرض هذا الدافع

وردت فى نصوص العهد القديم نصوص كثيرة تتحدث عن هذا النوع من الدوافع الفطرية ويقص سفر صموئيل الثانى أن أحد أبناء الملك داود ويدعى أمنون[1] أراد إشباع دافع الجنس فى نفسه عن طريق أخته متصوراً أن هذه العلاقات بين الأخ وأخته البالغين من الأمور العادية، وكان لداود بنات عذراء فيهن الفتنة طاغية فاختار الابن أمنون من أخواته أجملهن وهى ثامار، ولما لم يجد وسيلة إلى جذبها استشار أحد أقاربه حتى يبحث له عن حيلة [2].

الذى أوصاه قائلا له: [اضطجع على سريرك وتمارض، وإذا جاء أبوك ليراك فقل له دع أختى ثامار فتأتى وتطعمنى خبزاً، وتعمل أمامى الطعام لأرى فأكل من يدها حينئذ أبرى من المرض الذى أعانيه] [3].

استطاع أمنون أن يحبك مسألة مرضه واحتال على والده وأكثر من التظاهر بالمرض ورجا من والده أن تقوم أخته ثمارا على خدمته حتى يبرأ وقد وافق الأب فحضرت ابنته إلى مخدع أخيها وهى لم تعرف نواياه القبيحة [4].

حاول أمنون الاستمرار فى التظاهر بحالات الإعياء المرضية حتى اقتربت أخته منه أكثر وصارت فى متناول يده قال لها قدمى لى طعام بيدك حتى آكل مما صنعتى، وقد أمر باخراج من كانوا معه فى المكان حتى لم يبق سواه وأخته، وقال لها اعملى الكعك بيديك وقدميه لى لآكل واستجابت البائسة فأمسكها بعنف وقال لها ما ذكره العهد القديم [من أن ثامار عندما ذهبت إلى بيت أخيها

---

(١) أمنون ابن داود أمه تدعى اخيثوعم، ولد فى حيرون لما كانت تلك المدينة عاصمة لملك أبيه داود، وقد أذل أخته من أبيه ثامار فقتله ابشالوم شقيقها. راجع: القاموس المقدس ١١٩، وراجع: صموئيل الثالث إصحاح ١٣، وأخبار الملوك الأول الإصحاح الثالث فقرات ١، ٢.

(٢) وكان هذا القريب هو: يوناداب وكان أكبر سنا ويتمنى زوال هذا الملك عن طريق تدمير أفراده وبناء عليه فقد حرص على دعم امنون بالأفكار الشيطانية التى تبلغ به غايته.

(٣) ليوتاكسل التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص٣٥١.

(٤) راجع: صموئيل الثانى ٢٨/١١، أخبار الملوك الأول ٩/١.

أمنون امسكها وقال لها تعالى اضطجعى معى يا أختى فقالت له متمنعة أول أمرها لا يا أخى لا تذلنى؛ لأنه لا يفعل هكذا فى إسرائيل فلم يشأ أن يسمع لصوتها بل تمكن منها واضطجع معها وتكرر ذلك منه كثيراً][1].

وبعد أن تكرر ذلك منها وصار أمنون بحاجة إلى شىء جديد بغضها وكان بغضه لها أشد من المحبة التى أحبها من قبل حتى إن العهد القديم يرسم تلك الصورة السوداوية القاتمة فأمنون يطلب أخته للمعاشرة الجسدية حتى يشبع دافعه الجنسى وأخته تراه قد أغلق الباب عليهما وصارت المواجهة بينهما غير متكافئة وقد تمكن منها وأفضى أغلاقها وصارت آثار الجريمة بادية على جسدها، وقد أخمدا نار الجنس فى نفسيهما ثم ابتعد كل منهما عن الآخر ونفره[2].

ويقرر العهد القديم أن أمنون [دعى غلامه الذى كان يخدمه واستنصر به على أخته البائسة ثامارا وقال له اطرد هذه عنى خارجه واقفل الباب وراءها فجعلت ثمارا الرماد على رأسها ومزقت الثوب الملون الذى عليها ووضعت يدها على رأسها وذهبت صارخة باكية [3].

يا له من موقف رهيب يقطف الأخ عفاف أخته ثم يتلذذ بفعلته وفى النهاية يطردها للدمار فلا تجد مأوى سوى بكائها الحزين، وصراخها مفقود الهوية وذلك مما يمارسه اليهود فيما بينهم إذا أرادوا ومع غيرهم على أنه قاعدة عامة حملتها النصوص الكتابية ويعلق ليوتاكسيل على هذه الواقعة قائلا: [إن ما يسير الدهشة أن أمنون اغتصب أخته ثامارا وقد أعلن عن شهوته الدنيئة لابن عمه يوناداب الذى تخلى عن إنسانيته وقرابته وساعده فى اصطناع الحيلة حتى يظفر بعرض أخته وهذا يعنى أن عائلة يهود مسيح الرب المقدس كانت على درجة

(١) العهد القديم صموئيل الثانى ١٣ –٢٨/١١، وهذا التكرار منه يؤكد أن الفتاة قد وافقته على ذلك التصرف غير المسئول وأن تمنعها أول الأمر كان نوعاً من الدلال عليه حتى تجذبه إليها، وتوقظ فيه الدافع بكل قوته.

(٢) هكذا ينشر العهد القديم الأفعال القبيحة بين الإسرائيليين حتى إذا ما رسوها مع غيرهم كان ذلك من الأعمال العادية المألوفة بغض النظر عن وصفها القيمى أو الأخلاقى أو الدينى.

(٣) العهد القديم صموئيل الثانى ٢٨/١١/١٣.

كبيرة من الانحلال الخلقى وهل هناك أكثر من سعى أحد أبناءه « الذى يستطيع أن يملك من النساء من يشاء » إلى مضطجعه أخته سعياً حسيساً لا مرد له وقد ساعده على ذلك أبوه الذى هيئ له وابن عمه الذى نصح [١].

إن امنون أراد أن يطفئ دافع الجنس الداخلى الفطرى لكن مع من، مع إحدى محارمه، وهى أخته وأرادت البنت هى الأخرى أن تطفئ نيران هذا الجنس مع أخيها؛ لأنها لما دخلت إليه رأت فى عينيه تلك الرغبة فلم تقاومه وإنما استسلمت له وبالتالى تكون هى الأخرى قد أيقنت بحقها فى ممارسة هذه الفعلة القاسية بغض النظر من الذى قام بها وهو ما تشهد به نصوص العهد القديم[٢].

إن هذه العملية استغرقت وقتاً ،مع هذا لم تصرخ البنت ولم تقاوم بل لم يصدر منها أى صورة من صور الرفض، وهذا مما يعنى سلفاً بأنها كانت على يقين بما يدور فى عقل أخيها، وأنها سعت إليه بقدر ما سعى إليه، وذلك مما يعقد له كتاب العهد القديم مواقف كثيرة تؤكد أن دافع الجنس لدى اليهود يغلب دوافع أخرى كثيرة، وينتصر عليها ويؤكد فى ذلك الوقت أن تجارة الرقيق الأبيض الذى يمارسها اليهود قديماً وحديثاً، إنما هى إحدى المظاهر الانفلاتية التى تجرى داخل العقلية الإسرائيلية دون نظر إلى من يقوم بها ولا من يتم تعامله من خلالها ولا من ذلك الذى يمكنه أن يرفضها أو أن يقبلها. ويؤكد فى ذات الوقت أن اليهود تغلغلوا فى الدوافع المتدنية على حساب الحقائق الأساسية، وأنهم تدنوا فى سلوكياتهم إلى الحد الذى لا يصلح معه القيام بعمليات النقد الخرساء وإنما لابد من إعلان ذلك حتى يتفادى الناس الأضرار السيئة التى يمكن أن تقع لهم من تلك التجاوزات.

(١) ليوتاكسل: التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص١٥١.

(٢) راجع: صموئيل الثانى ١٥/٢٢، أخبار الملك ٣/٥/٧.

الفصل الثالث

مناقشة الدوافع الفطرية عند اليهود والرد عليها

الفصل الثالث

مناقشة الدوافع تلك الفطرية عند اليهود والرد عليها

ما من شك فى أن هذه المسألة على النحو الذى سلف تكشف عن كثير من أوجه القصور فى المعارف اليهودية وفى ذات الوقت تعبر عن أنواع من القسوة والتلذذ بأوجه الحرمان التى عاشها اليهود سنوات التشرد والتشرزم، فلما أتيحت لهم فرصة الاستقرار والتعبير عن الآراء والأفكار انطلقوا يكتبونها بكل حرية دون خوف أو خجل ودون رغبة فى المداراة وإنما كتبوها بكل ما لديهم من قوة وهنا يبدو كثير [من ملامح الوجه الكالح الشرير الذى يبدو فى المنشورات والكتب اليهودية ويرمى إلى تفسيخ الناس بنشر ما هو داعر بغض النظر عن طبيعته أو عنوانه] (١).

ولذلك تعتبر عملية المناقشة لأى عمل بمثابة التوضيح للجوانب المختلفة بحيث ينتهى الأمر إلى وضع إطار معرفى يمكن التعامل معه على ناحية واقعية ومن هنا كانت أهمية العملية ومن ثم سأتناول مناقشة ذلك الذى مر ذكره فى العهد القديم من النواحى التالية:

أولاً: مناقشة دافع البقاء والرد عليه من خلال إثبات وحدانيته ﷻ:

إن دافع البقاء الذى يتمسك به اليهود ووصفوا الله تعالى به إنما هو بقايا ممارسات لاعتقادات وثنية، كانت تسوق إلى اعتناق عبادة المنافع والمخاوف من غير تردد وهذا مما ظهرت آثاره فى التراث اليهودى على نواحى متعددة، فيذكر الدكتور/ فوزى أبو النيل: [إن الإله اليهودى لا يخرج عن كونه خرافة رسمتها عقول أصحابها لا علاقة لها بالله رب العالمين. إن إلاههم يأكل ويشرب ويحب

(١) أ. عبد الله التل، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ص٣٣، ط دار القلم ١٩٦٤م.

اللحوم والمخبوزات ولست أدرى بعد أن يأكل هذه وتلك ويهضمها ماذا يفعلون بها فيما بعد[1].

أخلص مما سلف عند الحديث عن دوافع البقاء، أن إله بنى إسرائيل حتى يبقى يتلذذ بالطعام والشراب ويأكل ما يشاء ثم يغضب على من لم يقدم له القرابين وربما وقف ضده وهذا من شأنه أن تقع له المساهمة بينه وبين من يقدم له القرابين فإن قدمه له وأرضاه جذبه وإن لم يقدمه له فقد أضله ووقف فى وجهه وهذا كله مما أثر على السلوك اليهودى وانتهى إلى ضرورة أن يكونوا ممارسين لما يمارسه الرب فترتب على ذلك ظهور جماعات عدوانية تقاتل فى سبيل البقاء وتسعى إلى تدمير الآخرين وهو الأمر الذى ترفضه الفطرة السليمة والعقول الصحيحة.

وجاءت الشرائع الإلهية لتأخذ الناس إلى ما فيه مصالحهم وما ذلك على الله بعزيز.

ولا شك أن الله تعالى قد تنزه عن كل ما من شأنه أن تقع له المشابهة فهو واحد أحد فرد صمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وهو جل شأنه ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [2]، وفوق ذلك.

فإنه جل شأنه صاحب الوجود الأبدى بل إن الوجود صفة نفسية قائمة بذاته تعالى وقد دلت النصوص القرآنية على هذه الوحدانية قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ** ﴾ [3].

يخبر تعالى أنه لا إله إلا هو، وإنه لا ينبغى العبادة إلا له وحده لا شريك له فإنه مالك كل شىء وخالقه وربه[4].

---

(١) فوزى السيد أبو النيل: عيادات وعادات قديمة ص١٧٥، ط أولى ١٩٦٥م.

(٢) من الآية رقم ١١ من سورة الشورى.

(٣) سورة النحل آية ٥٠.

(٤) محمد على الصابونى: مختصر تفسير ابن كثير للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبى الفداء، إسماعيل بن كثير الدمشقى ص٣٤٣، ط ٧، دار القرآن الكريم – بيروت ١٤٠٢هـ، ١٩٨٠م.

فالوحدانية هى من صفات رب البرية والواحدية من خصوصاته سبحانه على الناحية العملية.

والفرق بين الواحد والأحد أن الواحد قد جاء ذكره فى آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ **وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ** ﴾ (١).

ومن السنة المطهرة قوله ﷺ « لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار » (٢).

والواحد هو الشيء الذى لا ينقسم من جهة ما قيل أن واحد، وهو المعيار الضابط وإفادته معنا أنه واحد دون اعتبار لشيء آخر.

ومن هنا تصح إطلاق لفظ الواحد على الله تعالى اسما باعتبار اللغة التعبيرية(٣).

أم الأحد: فقد ورد فى قوله تعالى: ﴿ قل هو الله أحد ﴾ يقول الإمام الغزالى الأحد هو المسلوب عنه النذير(٤).

ومن السنة المطهرة قول رب العزة فيما معناه: « شتمنى ابن آدم، ولم يكن له ذلك وشتمه إياى قوله: اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد، لم أَلد ولم يكن لى كفوا أحد، وكذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وتكذيبه إياى قوله: لن يعيدنى كما بدأنى وليس أول الخلق بأهون علىّ من إعادته » (٥).

---

(١) سورة البقرة آية ١٦٣.

(٢) أخرجه الإمام النسائى، السنن الكبرى كتاب النعوت ص١٧، وفى عمل اليوم ص٢٤٢، وأخرجه الحاكم فى المستدرك جـ١ ص٥٤٠.

(٣) راجع للعلامة الفخر الرازى: مفاتيح الغيب، م٢جـ٤ ص٥٧٠، دار الغد العربى الأول ١٤١٣هـ، وراجع د/ الغزالى الواحد الأحد المؤتمر العلمى للأديان المنعقد فى هولندا بالاشتراك مع رابطة العالم الإسلامى، جامعة أمستردام ص٣، أكتوبر ٢٠١٠م.

(٤) راجع الإمام الغزالى: المقصد الأسمى شرح أسماء الله الحسنى ١٥٢ ط مكتبة الجندى القاهرة.

(٥) أخرجه البخارى فى صحيحه، حديث ٤٩٧٤، النسائى فى سننه جـ٤ ص١١٢، وراجع: الأحاديث القدسية ٥٦/٥٤.

فالتكذيب أى ليس يعودنى كما بدأنى وليس أول الخلق بأهون علىّ من إعادته[١].

وبالتالى فالأحد من أسماء الله الحسنى وهو صفة من صفاته العليا ومعناه الذى لا شبيه له ولا نظير والواحد الذى لا شبيه له ولهذا سمى الله عز وجل نفسه بهذا الاسم. [الأحد بما وصف بأنه لم يلد ولم يولد] [٢].

كذلك دلت الآيات القرآنية على أن التثليث عقيدة شيطانية والتوحيد عقيدة ربانية قال تعال: ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [٣].

نزلت فى النصارى لجعلهم المسيح وأمه إلهين مع الله فجعلوا الله ثالث ثلاثة لذلك كفرهم الله تعالى؛ لأنه سبحانه ليس متعدداً بل هو وحده لا شريك له، إله جميع الكائنات وسائر الموجودات، وقد توعدهم الله على هذا الافتراء والكذب فى الآخرة بالأغلال والنكال[٤].

كذلك دلت الآيات القرآنية على أن الوحدانية لله تبطل كل صورة من صور التعدد ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً**﴾ [٥].

لو كان الأمر كما تقولون وأن معه آلهة تعبد لتقرب إليه وتشفع لديه، لكان أولئك المعبودون يعبدونه ويتقربون إليه ويبتغون إليه الوسيلة والقربة، فاعبدوه أنتم وحده كما يعبده من تدعونه من دونه[٦].

---

(١) عبد الرؤوف المناوى الإتحافات المنية للأحاديث القدسية ص١٣٣.

(٢) راجع: د/ محمد حسين موسى محمد الغزالى، الواحد الأحد ص١١، وراجع البيهقى الأسماء والصفات ص٤٥، فخر الدين الرازى مفاتيح الغيث ص١٦، جـ٣٢، ص٣٧٥.

(٣) سورة المائدة الآية ٧٣.

(٤) محمد على الصابونى، مختصر تفسير ابن كثير المجلد الأول ص٥٣٦.

(٥) الإسراء ٤٢/٤٣.

(٦) المرجع السابق ص٣٧٩، م٢.

كما أن الضرورة العقلية قاطعة؛ لأن الرب لو كان بحاجة إلى من يمنحه البقاء من طعام وشراب لكان محتاجاً إلى ذلك المعطى ومثله لا يكون إله أبداً إذ لا يصح أن يكون خالقاً ومحتاج فلو كان محتاج ما كان غنى، ولا يصح أن يكون غنى ومحتاج فهذا ما تبطله الضرورة العقلية.

فى ذات الوقت فإن الاحتياج قائم فى الجميع إلا الله، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً**﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ**﴾ (٢).

هذه الحياة وكل من على هذه الأرض فهو فقير بالذات إلى الله تعالى والله هو المنفرد بالغنى المطلق.

كما أن صفات الله سبحانه وتعالى منها صفات ذات وهى التى يختص بها جل علاه ولا يقع فيها شىء من التشارك حتى لو كان ذلك فى الاسم كالمحيى والمبدئ والمعيد ومنها صفات أفعال وهى ما يقع الاشتراك فيها فى مجرد التسمية مع ضرورة التأكد على استقلال الله تعالى لما لها من صفات الكمال والجمال والإكرام.

يقول الجرجانى:

« اعلم أن الصفات الإلهية على ضربين صفات الذات وصفات الأفعال، والفرق بينهما أن كل ما يوصف به الله تعالى ولا يجوز أن يوصف بضده فهو من

(١) سورة فاطر آية ٤١.
(٢) سورة فاطر ١٥ : ١٧.

صفات ذاته نحو الوجود والقدم والقدرة والعلم والحياة وكل ما يجوز أن يوصف به وبضده فهو من صفات الأفعال نحو الرحمة والشفاعة والغضب[1].

كما أن البقاء معناه امتناع لحوق العدم وعدم آخرية الوجود، والدليل العقلى على ثبوته لله تعالى لو لم يجب له البقاء لجاز عليه العدم ولكان وجوده جائزاً، لكان حادثاً لما ثبت له القدم ولكن القدم قد ثبت له فانتفى عنه مضاده وهو الحدوث وبالتالى انتفى ما أدى إليه وهو جواز العدم وثبت نقيضه وهو البقاء[2].

أخلص مما سبق أن ما وقع فيه أصحاب الفكر اليهودى ونسبوه لله تعالى يعتبر عن ثقافة متدنية وفكر مكتسب من ديانات دينية، وردة إلى وجه أصحابه أولى من التمسك به تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(١) الجرجانى: حاشية على مطالع الأنظار على طوالع النوار ص٩ ط درب سعادة ١٣٠٥هـ.
(٢) الشيخ الحسن متولى – مذكرة التوحيد ص١٢، مكتبة الكليات الأزهرية ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.

ثانياً: مناقشة دافع الجنس عند اليهود والرد عليها:

سوف يتم مناقشة هذا الدافع من النواحى التالية:

أولاً من الناحية العلمية:

ما يتعلق بالبحوث العلمية التجريبية تذهب تلك الممارسة إلى إمكانية إقامة علاقة جنسية تامة بين نائم ويقظان على أن يكون الفاعل هو النائم والمفعول به هو اليقظان، وذلك مخالف للقواعد العملية التجريبية التى تنص على ما يلى:

(١) لا تتم تلك العلاقة إذا كان الفاعل وهو الرجل نائم، أما لماذا فلأن هذه العملية لابد فيها من امتلاء دموى فى القطعة الإسفنجية (العضو التناسلى للرجل)، بحيث يحدث الانتصاب كامل فإذا لم يتم ذلك الامتلاء الدموى فى القطعة الإسفنجية لا يتم ذلك وحينئذ لا تكون هناك ممارسة من جانب الرجل على الإطلاق، وفى نفس الوقت إن هذا الامتلاء لابد فيه من إشارة مخية تصدر عن الغدة النخامية التى تعد أحد المراكز الهامة فى إثارة الرغبة الجنسية وهى توجد بالمخ(١).

وبناء عليه تكون فكرة مواقعة بنتى لوط مع أبيهما غير واقعية وإنما نشأت عن خيال مؤلفيها ورغبتهم فى ممارسة الجنس ووضعه داخل نصوص كتابية تكون بمثابة الأوامر التنفيذية حتى يمارسه اليهود دون اعتبار لشىء آخر.

(٢) إن الرجل الفاعل إذا كان نائماً أو سكراناً، فإن عمل الغدة الجنسية يكون منعدما، بالنسبة لأثره الناشئ اعتماداً على أن القول به يخالف العلم التجريبى(٢).

(١) د/ أحمد عكاشة، علم النفس الفسيولوجى، بتصرف جـ٦٢، ط٨، دار المعارف ١٩٨٦م.

(٢) راجع: د/ فوزى محمد العنتيل، الدراسات البيولوجية ص٤١، ٤٢، ط ٣، ١٩٧١م.

ومن ثم فإن دافع الجنس الذى يقول به أصحاب العهد القديم يقرر شذوذ ولا يعترف بالعلم التجريبى الذى تتعدد ميادينه بين كيمياء وطبيعة وعلم البيولوجيا بجانب الفسيولوجى والتشريح وغيرها من العلوم التجريبية(١).

ومن ثم يتأكد أن ما ذهب إليه أصحاب العهد القديم مغرق فى الخيال ومخالف لقواعد العلم التجريبى.

(٣) إن عملية المباشرة الجنسية [لا تأتى اعتباطاً أو فجأة إنما يؤكد العلم وجود مقدمات ضرورية تأتى من الطرفين حتى تكون صحيحة علمياً سواء من الناحية النفسية أو الناحية البيولوجية](٢).

ويعلق د/ الديوانى على هذه المسألة من خلال رؤيته العلمية مقرراً قاعدة تجريبية عمادها [أنه فى عملية الانتصاب الطبيعى الذى يسبق الجماع تبدأ الرواية فى المخ وعندما يفكر الشخص تفكيراً جنسياً يتم إرسال إشارة من المخ إلى المراكز العضوية من النخاع الشوكى وهذا بدوره ينبئ مركزاً آخر مهمته إحداث تمدد فى الأوعية الدموية فتتم العملية الجنسية] (٣).

مما سلف بيانه تأكد أن ما ذكره العهد القديم من وقوع بنتى لوط مع أبيهما لا يتفق مع القواعد والمبادئ العلمية.

(٤) يؤكد القاموس الطبى أن [الجنس طاقة تختلف من شخص إلى آخر طبقاً للقواعد الثابتة والمراكز العصبية من حيث السلامة والصحة، كما تختلف شدة تلك الرغبة طبقاً لاختلاف تلك القدرات (٤).

---

(١) يقصد بالعلوم التجريبية ما يصدر عن المعامل التى تقوم بالملاحظة والتجربة والوصول إلى النتائج سواء أكان ذلك عن طريق المختبرات العلمية أم عن طريق التطبيقات العملية على أرض الواقع.

(٢) د/ أحمد عكاشة، علم النفس ص٦٣.

(٣) هذه المسألة من الناحية العملية لابد أن يكون الفاعل يقظاً وفى كامل قواه بحيث تأتى الإشارات من المخ إلى المراكز الأخرى على ناحية دقيقة وإذا لم يتم الأمر على تلك الناحية العملية تقع المسألة فى نطاق الخيال وليس الحقيقة د/ مصطفى الديوانى، حديث فى الطب جـ٥٥، طبعة الكاتب العربى للطباعة والنشر فى مصر ١٩٦٩م.

(٤) قاموس الرجل الطبى: ص ٦٥، ٦٦، وضعه نخبة من الأساتذة الأطباء وقام بإعداده بالنشر د/ محمد رفعت طبعة دار الهلال بالقاهرة.

فإذاً طبقا تلك القواعد العلمية على ما يقولون أصحاب العهد القديم تبين وجود انفصال تام بين ما يعرضونه وما قرره العلم، وذلك فى حد ذاته كافٍ للتأكيد على أن مؤلفى العهد القديم كانت خيالاتهم تدفعهم إلى تصور أمور غير واقعية ثم إضافة هذه النصوص إلى كتابهم المقدس بغية إلزام الناس به رغم مخالفته لكافة القواعد العلمية.

(٥) يقرر العلم التشريحى فى البناء الغددى: [إن الغدة النخامية تقوم بواجباتها الطبيعية حتى تتمكن الأعضاء التناسلية من القيام بأداء دورها على ناحية عملية.

إذا كانت القصدية هى التى تدفع كذلك[١]، وبمحاولة علمية هادئة من الناحية الغدية اتضح أن الغدة النخامية تتكون من ثلاثة أجزاء:

الجزء الأول: يسمى الفص الأمامى وهو فص غدى له مجموعة من الخلايا لكل واحدة منها إفراز خاص وله جملة هرمونات أهميها:

(أ) هرمونات منبهة منشطة لنمو الجسم وتساعد على تمام تكوينه [٢].

وهذه الهرمونات تمثل جانب هاماً فى حياة الكائن الحيوانى.

(ب) هرمونات تناسلية، ومهمتها تنبيه الأعضاء التناسلية فى الذكر والأنثى كما تنشط نموها وتعمل على تمام تكوينها [٣].

(ج) هرمونات التنبيه لوظائف غدد أخرى وتنشيطها، وهى تؤثر فى الوظائف مثلما يحدث مع كل من الغدة الدرقية والغدة الكظرية، والغدة الكلوية، وغدة الخصية والمبيض، وغيرها[٤].

---

(١) راجع: د/ سليمان عزمى، على هامش الطب جـ٢ ص٢٢٧، ط دار القلم، الكويت ١٩٦١.

(٢) هذه الهرمونات الغدية تتعلق بالنمو وتؤثر تأثيرا كبيراً. راجع: د/ محمد محمود عرفان، دور الغدد فى بناء الجسم ص٣١، ٣٢، ط أولى ١٩٨٣م.

(٣) راجع: قاموس الرجل الطبى ص٣٤، ٣٥، وهى هرمونات هامة جداً وإذا لم يتم إفرازها على وجه كامل تنشأ عنها أنواع من القصور العضوى والوظيفى لتلك الأعضاء.

(٤) د/ سليمان عزمى، على هامش الطب جـ٢ ص٢٢٧.

(د) **هرمونات اللبن:** وهى مما يقع داخل الفص الأمامى من الغدة النخامية على أساس أنه خلية غدية ومهمته تنشيط إفراز اللبن من الأنثى حتى تقوم بواجباتها الحيوية على ناحية علمية[١].

(هـ) هرمونات تؤثر فى تمثيل المواد الكربوهيدراتية فى التبنية وحينئذ تزيد كمية السكر فى الدم، وتعتبر بذلك مضادة لمفعول الإنسولين، وتلك الهرمونات كلما تزايدت أدت دوراً فعالاً ربما على ناحية سلبية[٢].

(٢) الفص الخلفى من الغدة النخامية وهو يتكون من خلايا عصبية عديدة وله خلايا إفرازية ومن ثم يسمى بالجزء العصبى فى الغدة النخامية[٣].

وبناء عليه فإن الفص الخلفى له خلايا إفرازية وله مجموعة ارتباطية بالخلايا العصبية ومهمته تؤازر الفص الأمامى وتزيد عليه.

(٣) الجزء المتوسط: وهو الذى يشبه غطاء الفص الخلفى فى الإنسان ومن وظائفه تنظيم المادة الملونة فى الجلد[٤].

وهذا الجزء مكمل لكل من الفص الأمامى والخلفى حينئذ تستطيع الغدة النخامية القيام بواجباتها الطبيعية[٥].

إذن العلم يقرر استحالة قيام علاقة جسدية كاملة بين رجل نائم تماماً أو مغيب عن وعيه وبين امرأة مهما كان شأنها[٦].

---

(١) راجع: د/ مكسيم ديفر: دليل المرأة إلى الصحة ٢٨١، ترجمة: محمد نظيف، طبعة دار العلم ١٩٦٦م.

(٢) راجع: د/ محمود فوزى، الطب الحديث، أصوله العلمية ومشكلاته الاجتماعية ص٦٥، ٦٦ – ط أولى ١٩٨١م.

(٣) راجع: د/ سليمان عزمى – على هامش الطب جـ٢ ص٢٢٨.

(٤) هذا الشبه فى الإنسان يقوم على الضابط الإيقاعى بحيث يفيد الحياة البيولوجية والحيوية داخل هذا الإنسان من الناحية الإطارية.

(٥) د/ سليمان عزمى، على هامش الطب ص٢٢٦.

(٦) د/ مسكيم ديفر، دليل المرأة إلى الصحة، ترجمة محمد نظيف – ط دار العلم ١٩٦٦م.

وبناء عليه فإن محاولة كتاب العهد القديم إسباغ رغبة جنسية على المرأة حتى تكون واقعة تحت إشباعها مع أبيها أو غيره فإنما هى محاولة غير صحيحة بناءً على ما يقرره العلم المعملى[١].

(٦) يذهب البحث العلمى إلى أن المرأة إذا حاولت إشباع حاجتها البشرية مع الرجل النائم مهما كانت حالة نومه فإنها لن تكون قادرة على الوصول إلى ذات المسألة كما تكون عاجزة على العطاء [وإنها ستخرج مما حاولت الدخول فيه بمحنة تدل على أنها لم تكن فى كامل عقليتها وإحساسها وتفكيرها العملى، بل على العكس ستكون غارقة فى همومها واقعة فى تأثير أمراض عصابية] [٢].

من ثم تبين من المناقشة العلمية فشل مؤلفى العهد القديم فى إثبات مصداقيتهم من الناحية المعرفية والتأكيد على أنهم قد سقطوا عندما نسبوا إلى لوط وابنتيه وجود علاقة جسدية نشأ عنها العديد من الأبناء والذرية.

ثانياً: مناقشتها من الناحية العقلية:

(١) إخفاق العهد القديم فى التعريف بأبطال فصوله فلم يخبر بمن هو لوط وخاصة إن هذا الاسم ورد فى العهد القديم مرات عديدة مما يجعلنا أمام اختيارين:

الاختيار الأول: أن يكون شخص عاديا وفى تلك الحالة يصعب عليه معاشرة بناته وهو نائم كما سلف الحديث عنه من الناحية العلمية.

وبذلك تكون المسألة مع هذا الرجل خيالية يعبر عن واقع داخل النفوس الإسرائيلية بعيد تماما عن الأصول المعرفية[٣].

---

(١) والقاعدة أن أهل العلم التجريبى هم أدرى بالقضايا التى يعرضونها والقاعدة العلمية إذا خالفت الكتابات اليهودية فإن ما ذكره اليهود لا يكون له من حجية.

(٢) راجع: د/ مكسيم ديفير، دليل المرأة إلى الصحة ص٢٨٧، ٢٨٨.

(٣) نبه إلى ذلك ليوناكسيل فى كتابه، التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص٣٥، ٣٦، ترجمة حسان ميخائيل.

الاختيار الثانى: أن يكون لوط هذا نبيا وقد نوه إليه العهد القديم فى قوله: [لما أضرب الله مدن الدائرة ذكر إبراهيم ثم أرسل لوط من وسط هذا الانقلاب][1].

وبناء عليه يكون له أتباع ومريدون باعتباره نبياً حينئذ يتسنى لبناته الزواج من رجال آخرين ولا تكون الواحدة منهن بحاجة إلى الوقوع مع أبيها لإشباع رغبتها.

يقول ليوتاكسيل: [أن مؤلفى العهد القديم قد وقعوا فى الكثير من أوجه التدنى؛ لأن لوط لو كان نبيا لكان له جمعاً من الاتباع واستطاعت ابنتيه معاشرة رجال آخرين وإشباع غرائزهن بطريقة أقل بشاعة وقبحاً من تلك الجريمة الشنعاء التى ارتكبوها مع والدهم وبخاصة أن أنبياء اليهود لا يستحيون من هذا العمل القبيح][2].

ولا يخفى أن إتيان الكتاب المقدس باسم لوط على هذا النحو من التجهيل يعطى انطباعاً هاماً بأن القوم لديهم رغبة جامحة فى الاعتداء على الآخرين حتى ولو نسبوا ذلك إلى رسل الله المكرمين.

وقد قص القرآن الكريم أن واحداً من أنبياء الله كان اسمه لوط، وأنه من الرسل اللذين يجب الإيمان بهم وأن الله قد بعثه إلى قومه اللذين استحلوا إتيان الفاحشة وتعلقوا بإتيان الرجال وممارسة الأفعال المحرمة مع النساء وقد كان مجيئه إليهم حتى يخرجهم مما هم فيه، وبخاصة: [أنه قد ذهب الحياء من وجوههم فلا يستقبحون قبيحاً ولا يرغبون فى حسن وكانوا يأتون الذكران من العالمين شهوة ويتحرجون من إتيانها مع نسائهم] [3].

---

(١) الكتاب المقدس سفر التكوين ٢٩/١٩.

(٢) ليوتاكسيل: التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص٤٣، ٤٤، وهو ينتقد مؤلفى الكتاب المقدس انتقادات متواصلة تقوم عنده على قواعد معرفية ولذلك يوجد لانتقاداته الكثير من الوجوه.

(٣) الشيخ عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء ص١٤٧، مكتبة دار التراث.

الله سبحانه وتعالى قد ذكر أن لوط نبياً فى قوله تعالى: ﴿ **وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ**﴾ (١).

وبالتالى فلا يصح على الإطلاق أن ينسب شىء من ذلك إليه نظراً لارتباط العصمة به وارتباطه بها والله سبحانه وتعالى نزه رسله عما يشينهم فضلا عن أن ينقص من عصمتهم إذ جعل الله لهم العصمة كما جعلهم عنده من المخلصين الأخيار فقال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ (٢). وقوله تعالى: ﴿ **اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾ (٣).

كما أن الله تعالى جعل لهم العصمة حتى لا يقع الواحد منهم فى أى صورة من صور التقصير قصداً وإذا وقع فيها سهواً نبئه الله تعالى وأيقظه فالعصمة هى: [حفظ الله تعالى لظواهر الأنبياء وبواطنهم عن منهى شرعاً] (٤).

ثالثاً: من الناحية الشرعية:

المشهور لدى كل العقلاء بل هو المؤكد لدى جميع الملليين والمتدينين أن الشريعة ما جاءت إلا لمصالح العباد وحيثما كانت المصلحة فثم شرع الله(٥).

---

(١) سورة الأعراف آية ٨٠/٨٤.

(٢) سورة آل عمران آية ٣٣/٣٤.

(٣) سورة الحج آية ٧٥.

(٤) الباجورى، شرح جوهرة التوحيد ص٢٧٨، ط أولى، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع .

(٥) راجع: للعلامة إبراهيم الشاطبى: الاعتصام جـ١ص٤٠– ط مكتبة الأسرة٢٠٠٩، والمرافقات فى أصول الشريعة جـ٢ ص٧، تحقيق الشيخ/ عبد الله دراز، مكتبة الأسرة ٢٠٠٦م.

وقد تبين أن ممارسة الزنا أمر فاحش[١] شرعاً نظراً لارتباطه بأضرار عديدة يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً**[٢] ﴾.

يقول الإمام ابن كثير أن قوله تعالى « لا تقربوا الزنا » معناه لا تدنوا منه إنه كان ذنب عظيم، وبئس طريقا ومسلكاً » [٣].

وفى الصحيح « عن النبى ﷺ أنه أتى بامرأة على باب فسطاط فقال له لعله يريد أن يلم بها فقالوا: نعم فقال رسول الله ﷺ: لقد هممت أن ألعنه لعناً يدخل معه قبره كيف يورثه وهو لا يحل له كيف يستخدمه وهو لا يحل له[٤]».

وإذا انتهينا إلى أن الزنا أمر محرم فى الشريعة الإلهية وتلك مسألة قطعية فإن شرب الخمر هو الآخر قد جاء مقتر بها وعند تطبيق تلك القواعد على دافع الجنس الذى قال به اليهود نجد أنفسنا متسائلين:

هل من الممكن أن يكون نبى الله لوط قد عاقر الخمر؟

هل يمكن أن يكون نبى الله لوط قد زنا بابنتيه؟

هل يمكن أن يقع له إنجاب منهما سفاحاً فى ليلتين متتاليتين؟

إن هذه المسألة مستحيلة من الناحية الشرعية كما هو مستحيل جريانها على أى واحد من أنبياء رب العالمين، يقول عبد الراضى محمد: [إن ما ذكره

---

(١) الزنا يعتبر من أكبر الكبائر بعد الشرك والقتل، وهو رجس وفاحشة مهلكة وجريمة موبقة تنفر منها الطباع السليمة، وهو ضلال فى الدين وفساد فى الأخلاق، واستهتار بالشرف والمروءة .

(٢) سورة الإسراء آية ٣٢.

(٣) راجع تفسير ابن كثير مجلد ٢ اختصار الشيخ الصابونى ٣٧٦، ط دار القرآن الكريم – بيروت.

(٤) ويدخل فى هذا اللعن ما كان يقوم به البعض من فرض أبناءهم أزواجاً على نسائهم بعد وفاتهم يدل عليه قوله تعالى: ﴿ **وَلا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلاً** ﴾ [النساء: من الآية٢٢].

اليهود إلى لوط من شرب الخمر ومواقعة ابنتيه وحملهن منه يمثل خرقاً لحكم شرعى لا يليق بأى عاقل تصوره[1].

كما أن هذه المسألة بعيدة كل البعد لأن الأنبياء كما يقول العلامة الشهرستانى[2]: « الأنبياء هم صفوة الله من خلقه اختصهم الله بالرسالة وحمل الأمانة وجعلهم أكمل الناس خلقا وأوفاهم خلقاً. النبوة ليست صفة راجعة إلى نفس النبى، ولا درجة يبلغ إليها أحد بعلمه، وكسبه، ولا استعداد نفسه به اتصالاً بالروحانيات، بل رحمة من الله تعالى، ونعمة يمن بها على من يشاء من عباده، لا تعدم نفس النبى ومزاجه كمالية فى الفطرة وحسناً فى الأخلاق وصدقاً وأمانة فى الأقوال والأفعال قبل بعثه لأنه بها استحق النبوة أو الأصل بسببها ».

وإذا كان أمر الأنبياء كما سلف ونبى الله لوط واحد منهم فإن نسبه شىء إليه يكون أمراً بعيداً عن مدار القبول.

يقول الشيخ الباجى ت. ٤١٧هـ: إن ما ينسب إلى نبى الله لوط أنه سكر وغاب عقله وزنا بابنتيه وأحبلهما بولد زنا غير معقول؛ لأن ذلك الفعل لو وقع من أحاد الناس لما وسعته الأرض حزنا وهما بل لو فعله غلامه لما أمكنه أن يراه بعد ذلك أصلاً فضلا عن أن يقيم عذره بعدم علمه[3].

كما أن الرسل محال عليهم كل نقص بشرى يخل برسالتهم أو ينفر الناس منهم وما نسبه العهد القديم إلى لوط وابنتيه يخالف القواعد الشرعية وقد نبه الأستاذ/ إبراهيم خليل إلى هذه النتيجة فى قوله: [لما كانت تلك الفعلة بشعة فى حق النبى فإن ثمراتها تكون أبشع، ومن المؤسف له أن يواصل كتاب العهد القديم

(١) عبد الراضى محمد: التطرف اليهودى تاريخه أساسه ومظاهره، علامته ص٣٣ – ط دار التوعية الإسلامية جـ١ أولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

(٢) الشهرستانى: نهاية الإقدام فى علم الكلام، ص٤٦٢، ٤٦٣، طبعة مكتبة الثقافة الدينية – بدون تاريخ.

(٣) الشيخ على محمد الباجى الشافعى، تعليق على التوراة ص٧٤، تحقيق، د/ أحمد حجازى السقا، توزيع دار الأنصار – ط بمطبعة الحلبى ١٩٨٠م.

القول بأن بنتيه انجبتا شعبين هما المؤابيون والعمونيون، وقد دخلوا جميعاً فى جماعة الرب حسب تسلسل الأنسال بالنسبة للمسيح(١).

وإذا كان لنا أن ننبه إلى ذلك الفساد من خلال النصوص فإن العهد القديم، يذكر علامة فارقة بين ابن الزنا وجماعة الرب: [لا يدخل ابن زنا فى جماعة الرب أبداً] (٢).

ومادام العهد القديم نفسه قد رفض دخول ابن الزنا فى جماعة الرب والثابت لديهم أن المؤبيين والعمونيين فى جماعة الرب فقد تأكد أن قصة الزنا تلك من وحى خيال أصحابها وربما كان ميل اليهود إلى إدانة هؤلاء المؤبيين والعمونيين والطعن على أصولهم بمثابة رد الفعل ضد هؤلاء إذ المؤبيون والعمونيون معروفون بصلابة الرأى وصعوبة الميراث ومن ثم فكان منذ القديم ينصب الحرب لبنى إسرائيل ويدحرونهم وينزلان بهم أكبر الخسائر.

فوجب على كتاب العهد القديم أن يلحقوا بهما كل ضرر ولا مانع من الوقوع فى أعراضهم وإلحاق أقبح المثالب بهم وهل هناك أقبح من النغولة؟(٣).

وإنها لموبقة لأصحابها حيث تحرم من يتصل بها حقوقه الإنسانية وتجعله يعيش عمره طريداً شريداً(٤).

مما سلف بيانه اتضح أن فكرة العهد القديم فى نسبة وقوع الزنا بين لوط وابنتيه إنما يراد بها تجريح الشعبين العمونى والمؤابى، بغية النيل منهما، وهى فرية ما كان لعاقل أن يقع فيها فضلا عن أن ينسبها إلى رسول من رسل الله،

---

(١) أ. / إبراهيم خليل أحمد: إسرائيل والتلمود، دراسة تحليلية ص٥٠، مكتبة الوعى العربى ١٩٦٧م.

(٢) العهد القديم، سفر التثنية إصحاح ٢٣/ فقرة ٢.

(٣) **النغولة:** هى نسبة الولد إلى غير أهله؛ لأن النغل هو ولد الزانية الذى لا يعرف نسبه، أى فساد النسب. راجع: المعجم الوسيط: باب النون.

(٤) د/عصام الدين حنفى ناصف، محنة التوراة على أيدى اليهود ١٩/١٨ – ط أولى مطبعة الرسالة ١٣٨٥هـ /١٩٦٥م.

وربما كان ذلك من الأنباء التى أخبر بها الرسول ﷺ على سبيل الإعجاز، ودلت أيضاً على أن بنى إسرائيل أول مصائبهم كان الوقوع فى الفساد فعن أبى سعيد الخدرى ﷺ أن رسول الله ﷺ: [أن الدنيا حلوة خضرة وأن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الله واتقوا النساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء] (١).

لست أبالغ إذا قلت أن كثيراً من بنى إسرائيل القدماء والمحدثين رأوا فى ذلك العمل أمراً مغزياً يدل على ذلك ما نقل عن السموأل بن يحيى من أن ما ذكروه عن هذا الشيخ الكبير أمر فاحش حتى حينما ذكروا أنه سقياه خمراً واستنزلت كل منهما منيه وقامت عنه وهو لا يشعر بهما فهذا كلام من لا يعرف طريقة الحبل لما هو معروف من أن تعلق المرأة من طاعن فى السن تجاوز المائة تعتبر محالا إذا أضفنا إليه غياب حسه لفرط سكره(٢).

ويذهب غيره إلى أن ما ذكره هؤلاء ممتنع أخلاقيا إذ كيف تجرى البنتان على التآمر ضد أبيهما حتى يقع فى عرضهما، وكيف فعلت به فالليلة الأولى علقت منه ثم فعلت به الثانية فى الليلة التى تلتها فعلقت منه ثم يقول: إن هذا ممتنع أخلاقيا كما هو ممتنع واقعياً(٣).

ويؤكد السموأل بن يحيى بعد دراسة مستفيضة أن قصة زنا لوط بابنتيه أو قصة زنا ابنتيه به أنشأها اليهود لتكون فى مواجهة بنى عمون وبنى مؤاب؛ بحيث ترجح كفة بنى إسرائيل ثم ينتهى إلى القول [بان هذه العداوة هى التى بعثت

(١) الإمام مسلم: صحيح مسلم كتاب الزهد باب فتنة النساء جـ٢ ١٣٢٥، حديث رقم ٤٠٠٠.
(٢) السموأل بن يحيى: بذل المجهود فى إفهام اليهود ص١٤٩، تحقيق د/ محمد عيد الشرقاوى – ط دار الهداية ١٤٠٦هـ.
(٣) راجع: ليوناكسيل، التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص٣٥١.

واضع هذه القصة على تلفيق محال ليكون أعظم الفعال فحشاً فى حق بنى عمون وبنى مؤاب][1].

ومما يدعو للدهشة والغرابة أن دعوة لوط من الناحية الأخلاقية دعوة للطهر والعفاف والسمو بقومه عن التمرغ فى الشذوذ الجنسى والارتكاسة فى وحل الرذيلة، حتى وصمه بنوا إسرائيل بأنه وأتباعه من المطهرين يدل على ذلك قوله تعالى:﴿ **وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ**[2]﴾.

وإذا كان قد جاء لتطهير هؤلاء من الخبائث، وهو كاره لما يقومون به يدل عليه قوله تعالى: ﴿ **قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ**﴾ [3].

وكان فى كل أمره يدفعهم إلى الطهر والنقاء وكان من المحسنين فهل غابت عنهم كل هذه حتى وصفوه بما لا يوصف به سوى الأشرار الخارجين والقرآن الكريم، قد شهد له أنه من أنبياء الله المرسلين.

[فكيف يسعى كتاب العهد القديم إلى وصمه ﷺ بأبشع الرذائل إنهم زنادقة مبالغون فى الاستخفاف برسل الله تعالى كما استخفوا بالله رب العالمين][4].

وفى تقديرى تم الرصد العرفى لما يرد لدى هؤلاء فى تأكيد على القصور العقلى والخروج الشرعى، وبيان انتماء هؤلاء إلى النزعة العدوانية، وهو مما يؤكد أن اليهود قوم خلعوا دين الله وتخلوا عنه ولم يعد لديهم أدنى استعداد للرجوع إليه ومهما حاولوا انتسابهم إلى شىء من أمر سماوى فإن القضية الأساسية هى أن

(١) السموأل بن يحيى: بذل المجهود فى إقحام اليهود ص١٤٩، ١٥٠، ونفس الفكرة تتردد لدى الكثيرين ممن عملوا فى هذا التراث على نوع من الدراسة العملية.

(٢) سورة الأعراف آية ٨٠/٨٢.

(٣) سورة الشعراء آية ١٦٨.

(٤) راجع: د/ محمد عبد الله الشرقاوى الكنز المشهود فى فضائع التلمود ص٢٥ إلى ص٢٧، مكتبة الوعى الإسلامى مطابع سجل العرب ١٩٩٠م.

مصادرهم تفضح أمورهم وتكشف أحوالهم كما تدل على فسادهم وفى ذات الوقت تحرمهم من الاستفادة بدعاويهم الكاذبة كما أنوه إلى ضرورة أن يكون التعامل معهم من خلال الأفكار التى ترد فى مؤلفاتهم دون تحرج من الحكم عليها بما فيها والتأكيد المتواصل على أن ما بها لا علاقة له بشىء من خبر السماء وإنما هو وحى خيال أصحابها اللذين بات خروجهم على الله ورسله من القواعد العامة التى يتمسكون بها ولا يخرجون عليها.

ثالثاً: مناقشة دافع عشق المحارم والرد عليه:

سأتناول مناقشة تلك الفكرة من خلال النواحى التالية:

أولاً: من الناحية العقلية:

ذكر مؤلف النص أن ثامارا قالت لأخيها لا تذلنى بل كلم أبى الملك فى ذلك فإنه لا يمنعنى منك والسؤال الآن إذا كانت ثمارا قد رأت من أخيها هذه الرغبة فهل كانت الشريعة التى يحتكمون إليها تسمح بأن يطلب الأخ غير الشقيق أخته من أبيها ليمارس معها الجنس متى أحبها؟ (١).

لقد حكم العقل بأن ما فعله هو الزنا والاغتصاب، وقيادة الشهوة للعقل حين تطلب الإشباع الجنسى الفورى وذلك مما نبه إليه أصحاب التفسير الطبيعى حيث أكدوا أن أمنون قد ارتكب خطيئتين إحداهما الاغتصاب، والثانية زنا المحارم وكل منهما محرمة عند الله (٢).

ثم إن أمنون لما طرد أخته بعد اغتصابها ألم يعتبر ذلك جريمة أخرى بعد السابقتين فيكون ذلك قد ارتكب جرائم أربع:

الجريمة الأولى: الاختطاف المقنع تحت المرض.

---

(١) إن هذا التساؤل مشروع من ناحية العقل وليس هناك ما يدفعه بل هناك ما يؤكده وهو عدم خروج البنت عن هذه الدار وسكوتها أمام رغبات أخيها وكان يمكنها أن تقاوم.

(٢) التفسير التطبيقى للكتاب المقدس، ص١٦٦، تأليف مجموعة من علماء اللاهوت المسيحى، ط وتوزيع مطبعة الجيل بالقاهرة سنة ٢٠٠٠م.

الجريمة الثانية: الاغتصاب الذى تم عن طريق القهر والقسوة.

الجريمة الثالثة: زنا المحارم.

الجريمة الرابعة: طرده لها بعد اغتصابها والزنا بها.

من الواضح أن طرده لها جعلها تبدوا كأنها هى التى دفعته إلى هذا الفعل القبيح عن طريق الإغواء ويعتمدون فى ذلك على أن المرأة كائن حى إغرائى لم تخلق إلا لتكون مرتعاً للإغراء فهى حواء الأولى التى أغرت آدم فأكل من الشجرة، ووقع فى الخطيئة، ولذا فالكتابات اليهودية القديمة والحديثة تنظر للمرأة هذه النظرة المتدنية القبيحة(١).

وإذا كانت الفتاة هى التى اغتصبته، ألم يكن هو قادر على دفعها قبل أن يغرق بين دوافعها وأغراضها ولم يكن هناك شهود يفصلون فى المسألة وقد نبه إلى ذلك أصحاب التفسير التطبيقى حين يؤكدون على أن [أمنون تخلص من كل الخدم أولاً ثم قضت فعلته على كل فرصة لأخته فى الزواج لأنها لم تعد عذراء وبالتالى لا تستطيع أن تتزوج] (٢).

ويقرر أصحاب التفسير التطبيقى أن عملية إطفاء هذا الدافع عن طريق الأخت يمثل جريمة عائلة (٣).

وهنا أتساءل هل ما قام به أمنون مع أخته غير الشقيقة ثامارا ضمن السلوكيات غير الشرعية أم مخالفة لقواعد الشرع والعقل معاً؟

والجواب إن الدين فى اليهودية، [مجرد نشاط بشرى يضفى على الأشياء معنى وهو ملئ بالرموز والطقوس والمجاز والخيال والذوق وبناء عليه يصير الدين علاقة إنسانية وليست شريعة إلهية](١).

(١) راجع: لجون أتافريد: المرأة فى المؤلفات اليهودية ص٦٥، ترجمة عادل فوى ١٩٧١م.

(٢) كانت العادات جارية فى الجماعات اليهودية بأن البنت إذا لم تبق عذراء فلا يستطيع أن تتزوج إلا إذا أقر الكاهن بأنها كانت عذراء وإن ثيوبتها تمت عن طريق إخراج الشيطان والنجاسة. راجع للدكتور/ زكريا فاضل: اليهود والجريمة وجها لوجه، ص١٤١، ١٤٢.

(٣) راجع: التفسير التطبيقى للكتاب المقدس ص٧٦٧.

إن العقل يرى وجود تناقض فى المسألة إذا كان من حق البنت الاعتراض على أبيها وتسأله لماذا لا تخدمه أخته الشقيقة ولماذا لا يخدمه أخ شقيق رغم كثرة هؤلاء وأولئك وبخاصة إن البنت قالت لأخيها اطلبنى من أبى ومن هنا يكون العقل قد حكم باستحالة وقوع هذا الفعل على ناحية واقعية اللهم إلا أن يراد به الصورة الرمزية واليهود لا يعترفون بالصور الرمزية.

كذلك الواقعة تنتهى إلى أن البنت حين طردها أخوها قالت له: هل هناك من سبب حتى تطردنى إن طردك لى هو أعظم مما فعلت بى قبلا.

وإن هذا يفيد أنها استساغة عشق المحارم وأن إبقاءها عنده كخليلة ما كان لها من اعتراض وهذا مما يؤكد أن القوم قد أوغلوا فى كل فعل محرم دون أن يحكموا عقلا أو يلتزموا شرعاً ويقرر الدكتور دروزة أن القصة تؤكد عدم سماع أى ردود من الأب لما حدث من أمنون لأخته ثامارا وقد اغتاظ ولم يفعل شىء معه لأنه كان يحبه فهل وصل بالأب هذا الحد من التبلد حتى تغتصب ابنته عن طريق أخيها ولا يكون له منه أى موقف[٢].

أضف إلى ما سبق أن العهد القديم ينمى داخل العائلة العدوان وتصفية الحسابات ويؤكد أن أبشالوم شقيق ثامارا عندما تأكد من فعلت أخيه وصمت أبيه وقف يدافع عن عرضه.

واستمر فى ذلك حتى اختال أخيه أمنون كما زنا بسرار أبيه داود وهذا فى حد ذاته كاف لإعلان أن التراث اليهودى يغلب الجنس مهما كانت دنائته على العقل مهما كانت درجته [٣].

---

(١) وليم سيدهم اليسوعى: لاهوت التحرير ص١٥، سلسلة الفكر ٢٠٠٨م.

(٢) د/ محمد عزة دروزة: تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ١٥٠، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت ١٩٦٩م.

(٣) هذه المسألة تبدو بوضوح فى المؤلفات اليهودية من كافة النواحى، وهذا من تأليف تحريك العقلية الواعية لترصد تلك المخالفات ثم تنبه عليها.

يذكر دروزة أن أبشلوم حين اغتال أخيه أمنون على فعلته استخدم هو الآخر حيلة حيث جمعهم على وليمة له ولسائر أخوته، وعن طريقها قضى عليه ثم فر إلى مدينة بعيدة ولبث فيها ثلاث سنين إلى أن عفا عنه أبوه، ثم يقول وهذا كله لا يخلو من الخيال(١).

ونفس المنحا راقبه أصحاب التفسير التطبيقى حين قالوا: [إن دافع الجنس الفطرى فى اليهودية أغلى من سلطان الشريعة داخل النفوس لأن هذه المرأة ثامارا كانت أختاً لآمنون إلا أن ذلك الذى وقع منه يمثل نوعاً من غلبة الشهوة عليه ويفرقون بين الحب والشهوة بدليل أن أمنون كان يحب أخته ويعشقها عشق المحارم، فلما أفضى إليها وتكرر ذلك منه معها تحول حبه إلى بغضها، ومع أنه ادعى الحب لها أولاً، إلا أنه كان فى الحقيقة مغلوب من الشهوة ويستشهدون على ذلك من أن المحبة يمكن أن تسير إما الشهوة فلأن فيها من الإشباع الجنسى الفورى والمحبة شغوفة أما الشهوة فغالبة عنيفة(٢).

ويذكر اتلخان أن بنى إسرائيل وقعوا فى زنا المحارم بعد عشقهم وأن الحاخامات رفعوا الإثم عن الابن إذا زنا بأمه بشرط أن تكون أرملة المهم أن يشبع رغبتها وبخاصة إذا طلبت ذلك منه أو رأى هو حاجته منها [إذا الولد زنا بأمه الأرملة لا يقام عليه الحد ولا يلام بل ينبغى له أن يستمر معها على هذا الوضع حتى بعد زواجه هو راغبة لها وتأكيداً على أن ذلك من حقوقها عليه كذلك إذا زنا الأب بابنته الأرملة بعد وفات زوجها، فلا يعاقب، ولا يلام لأن عمله هذا يجنبه تبذير ماله الخاص مع العاهرات الأجنبيات(٣).

(١) دروزة، تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ص١٥٠.
(٢) التفسير التطبيقى للكتاب المقدس ص٦٦٥.
(٣) جواد رفعت أتلخان الإسلام وبنى إسرائيل ص٧٠/٦٧، ترجمة يوسف وليشاه.

وبناء عليه يكون الجانب المعرفى مؤكداً على أن العقل يرفض هذه المسألة رفضاً باتاً ويؤكد فى ذات الوقت أن الجرائم الإنسانية ترفضها المبادئ العقلية الأساسية.

وينتهى بوتاكسيل إلى أن القصة نشأ فيها الخيال وليس لها وجود حقيقى لأمرين:

أحدهما: أن داود طبقا لحكايتهما كان محباً لأمنون أكبر أبناءه، وولى عهده وكان أمنون صورة لأبيه وبالتالى فما مارسه أمنون هو ذاته ما يمارسه أبوه وقد عز على الأب أن يقيم الشريعة على الابن رغم أن البنت الضحية حملت الرماد على رأسها ومزقت الثوب الملون وراحت تغدوا صارخة مستنجدة بمن يسمع صوتها[1].

وبناء عليه تكون هذه المسألة بعيدة كل البعد عن الواقع العملى وإلا تم اتهام داود بالجبن وممارسة الدعارة والتمهيد لها والتأكيد على أنها قاعدة يجب تطبيقها وهو ما تسعى إليه الجماعات اليهودية أينما كان أمرها.

ثانيهما: أن داود نفسه كما يذكر أصحاب التفسير التطبيقى قد وقع فى خطيئة مشابهة لخطيئة ابنه حين زنا بالمرأة الجميلة بتشبع زوج اوريا الحثى وكان داود لا يبارا كملك وقائد عسكرى إلا أنه كانت تنقصه المهارة والحساسية كزوج وأب وبالتالى أدى به هذا الموقف المتخاذل والمتدنى إلى أن يفتح الباب لابنه الداعر أمنون حتى يغتصب أخته كما يفتح جريمة الأخذ بالثأر الذى قام بها أبشلنوم شقيق ثامارا حين قتل أخيه أمنون معاقبة له على زناه لأخته بعد اغتصابه له[2].

كما أن العقل السليم لا يقبل ان يكون ابشلنوم أكثر ثورة على أخته من والده وكان الفيلسوف فولتير قد ألمح إلى ذلك حين ذكر أن فعلة أمنون [كانت خسيسة وشنيعة، وقد زادها شناعة طرده لأخته بعد الذل الذى ألحقه بها لكن قتل

(١) ليوتاكسيل التوارة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص٣٥٢.

(٢) التفسير التطبيقى للكتاب المقدس ص٧٦٧.

أبشلنوم لأخيه غدراً بعد دعوته إلى وليمة هو الآخر أمر ليس أقل جرماً، من فعله أمنون بأخته ثامارا] [١].

لست أدرى كيف يوازن فولتير بين فعلتين متدنيتين الأولى هى المقدمات والثانية هى النتيجة، ثم يجعلهما فى كفة واحدة أما كان الأولى له إدانة ذلك الابن الذى اعتدى على عرض أخته وربما التمس الغدر لمن قتله فيما بعد أخذا بثأرها.

لقد كان الدكتور محمود الشرقاوى واضحاً حين قال: [إن مقولة البنت لأخيها اطلبنى من أبى فيها تأكيد على أن التراث اليهودى ملئ بالقضايا التى تحمل النقائص من كل جنباتها وتؤكد فى ذات الوقت على أنهم يمهدون للجرائم ولا يستحيون من ذكرها][٢].

واذهب إلى أن هذه الفعلة لا تخص واحد من أنبياء الله وإنما إذا كانت وقعت فإن عملية الإسقاط على شخص داود كانت مقصودة بحيث تسمح لأولئك الشواذ حتى يمارسوا كل ما حرم الله زعم منهم بأنهم بذلك يقلدون الأنبياء وما هم إلا شياطين مرضى.

ثانياً: من الناحية الشرعية:

تذكر الشريعة اليهودية تحريم زنا الأخ لأخته، ومنه ما جاء فى سفر اللاويين: [لا تفضح أختك من أبيك كانت أو من أمك لا تكشف عورتها وكذلك ابنة ابنك أو ابنة ابنتك لا تكشف عورتها أنها عورتك] [٣].

وإذا كانت هذه إحدى الوصايا المشهورة فى الشريعة اليهودية طبقا لما تذكره أسفارهم فهل يسكت داود؟ أين كان شخصه من ابنه الذى وقع فى الجريمة ولا يقيم عليه الحد.

---

(١) ليوتاكسيل التوارت كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص٣٥٣.

(٢) د/ الشرقاوى: الدين والضمير فى التراث اليهودى ص٥٥ – ط ٢ ١٩٨٧م.

(٣) العهد القديم سفر اللاويين ١٨/٩/١٠٠.

كما أن دافع الجنس عندهم قفز على قدسية الدين ومع هذا جاءت الشريعة لتعيدهم إلى واقع صحيح غير أنهم تخلوا عن تلك الشريعة بدليل إننا فى الوقت الحاضر [نجد عاصمة الدعارة فى إسرائيل إيلت، [إيلات وهى قريبة من بعض الدول العربية وهى ميناء لاستقبال المتكالبين لإطفاء نار الشهوة الجنسية المتوهجة بطرق غير مشروعة يقول كوفيه بنوتيون: وهى محاولة جادة من العقلية اليهودية لإرساء بديل للشرق أوسطى يكون على غرار شوارع العراة الأوربية، ومنطقة جذب سياحى بواسطة الجنس](١).

ويؤكد أحد الباحثين المعاصرين [أن إسرائيل استقدمت جملة من العاهرات الأوربيات الشقروات لتغطية العجز الذى يمكن أن يحدث فى حالة ارتفاع ذروة تواجد السواح القادمين من البلاد العربية وكثرة طالبى الجنس غير المقنن](٢).

إن الشريعة جاءت لمصلحة العباد وما يمارسه هؤلاء لا يقبل على أى ناحية شرعية لقد أباحت الشريعة تنظيم تلك العلاقة عن طريق النكاح وبينت أن صحة الممارسة تعبر عن سلامة الشريعة يدل عليه قوله تعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (٣).

وفى ذات الوقت بينت الشريعة الإلهية أن هذه العلاقة تمتاز بالستر والخفاء وأن ما يجرى بين الزوجين من المسائل التى لا يصح الإفصاح عنها إلا فى حدود ما يقع فى دائرة العلاج أو تبرئة الأعراض بدليل قوله تعالى: ﴿ **هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ**﴾ (٤).

---

(١) كوفيه بنوتيون، فضائح اليهود ص١٧٩، ترجمة ناصر خيرى ١٩٩٣م.
(٢) أ.ر. بنتون، الجنس تحت الطلب ١٧٠، ترجمة وفاء خاطر ١٩٩٤م.
(٣) سورة الروم آية ٢١.
(٤) سورة البقرة الآية ١٨٧.

كما أن الرسول ﷺ قال: « إن من أكبر الكبائر أن يفضى الرجل إلى امرأته وأن تفضى له ثم ينشر سرها » [١].

مما سلف بيانه اتضح أن الشريعة الإلهية تحرم ذلك كله ولا تسمح به بل إنها دققت فى كل ما يتعلق بالإنسان سواء كان رجل أو امرأة وأعطى كل واحد منهما الحقوق المتبادلة ليكونا على قدم واحدة بما لكل فرد من الخصوصية فيقول الرسول ﷺ: « إنما النساء شقائق الرجال » [٢].

وجاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تبين ما يحل نكاحه وما لا يحل منها قوله تعالى فى المحرمات من النكاح: ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً**[٣] ﴾، ولا توجد شريعة تسمح بالزنا على أى ناحية. بل الأحاديث دالة على أنه كبيرة من الكبائر، يقول الرسول ﷺ: « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » [٤].

ومن ذلك ما رواه ابن مسعود ﷺ قال سألت رسول الله ﷺ أى الذنب أكبر عند الله؟ قال: .. .. أن تزانى بحليلة جارك » متفق عليه.

وقوله ﷺ: « إذا زنى العبد خرج منه الإيمان فكان على رأسه كالظلة[٥]».

وبهذا أثبت أن الشريعة الإلهية لا تسمح بأن يمارس الزنا وإن الوارد فى المؤلفات اليهودية يعبرعن سلوكيات شاذة وأفكار متدنية.

---

(١) مسلم، إفشاء أسرار الزواج.

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده برقم ٥٨٦٩، والترمذى فى كتاب الطهارة رقم ١٠٥.

(٣) سورة النساء الآية ٢٣.

(٤) رواه البخارى ومسلم.

(٥) رواه أبو داود والترمذى.

ثالثاً: الناحية المعرفية الأدبية:

صدر القصة يوحى للقارئ بأن هناك علاقة قلبية تجمع بن امنون وأخته غير الشقيقة لكن تلك العلاقة تتحول إلى نوع من الإعجاب الشهوانى، كأن المؤلف لم تكن له دراية بالعلاقات الإنسانية فضلا عن العلاقات القلبية وذلك مما يكشف عن عوارض تنافى صحيح الشرائع السماوية والأعراف السليمة والفطرة المستقرة منذ آدم عليه السلام (١).

كما أن مؤلفى القصة لم تكن لديهم خبرة بالنواحى الفنية للكتابات الأدبية حين تتحول تلك المحبة إلى عاطفة، ثم تمهد إلى علاقات جنسية بل تقود كلا الطرفين إلى هذه الممارسة دون أن يكون فى الإطار البنائى للقصة شىء واقعى(٢).

فالأخ يطلب النصيحة لإطفاء شهوته فى جسد أخته من أقرب الناس إليهما وهو ابن عمهما، والأخت بعد أن رأت نوازع الشهوة فى عين أخيها لا تتمرد عليه بل تقرر البقاء معه إطفاء للجمرة الموقدة وهو ما يعبر عن أنواع من السقطات الفنية فى الرواية من الناحية الأدبية.

أبرزها:

١- إن بداية القصة رومانسية بينما خواتيمها تراجيدية مأسوية والفرق بينهما أن الرومانسية تأمل فى ذات الفرد أما المأسوية فهى مصرع ذلك الفرد (٣).

ولا أغالى إذا قلت أن نهايتها صورة من صور التراجيدية السوداء وهذا المنعطف تبدو ملامحه فى إطار مأسوية القصة نفسها من هتك عرض، واغتصاب أخت وانتهاء بعملية القتل وهذا كله مما يؤكد أن القصة ليست

(١) الأستاذ البهى الخولى: آدم عليه السلام ص١٣٧ – ط أولى مطبعة وهبة ١٩٧٤م.

(٢) الواقعية التى أنبه إليه هى ما تتعلق برجل وامرأة أجنبية حيث تكون العلاقة بينهما مؤدية إلى النكاح المشروع، ثم ما يأتى بعده.

(٣) راجع: لإبراهيم دسوقى أباظة: أدباء الرومانسية ص٤١، ٤٢ – ط أولى ١٩٤٦م.

واقعية وتذهب ليويس أجرى: [أن معيار الواقعية فى القصة الرومانسية الاستمرار فى الطريق دون عقبات ترد به للخلف فالحب ينتهى بالزواج والأولاد وطريق النجاح يبدأ من العمل الجاد](١).

٢- أن السقوط الفنى يجعل القصة بعيدة عن الواقع ويفتح الباب أمام الرذيلة وهذا مما تبدو ملامحه داخل الأطر اليهودية حيث يندفعون فى تيار الجنس المحرم بلا هوادة، ويمارسون الدعارة المقننة حيث يفتتحون بيوت لها يسمح بترخيصها وأن تدار عن طريق عاهرات مرخصات لهن القيام بها ويدفعن ضرائب للدولة مقابل هذه العمليات الشذوذية (٢).

٣- إن عمليات الاغتصاب التى قالوا بها لا تمهد لبقاء تلك المرأة عذراء وكيف ذلك والعهد القديم ينص: [إن أمنون قد عانا من سقم الحب لأن ثامارا أخته كانت عذراء فتعذر عليه تحقيق مأربه منها فيما بعد قبل أن يلقى حتفه](٣).

فهل لو لم تكن عذراء لأى سبب من الأسباب كان باستطاعته أن يحتال فى الوصول إليها وبالتالى تكون المرأة غير العذراء وسيلة مباشرة لإطفاء الرغبات الجسدية من غير احتيال (٤).

٤- إن الأفكار التى نقلت تختلف كثيراً عن غيرها فالقصة سمحت بزنا المحارم بينما بعض نصوصهم تسمح به وتؤكد عليه فأيهما الذى يمكن اعتباره مقبول.

يقول أحد كهان اليهود: [إن منع نكاح المحارم من الأمات والأخوات من البنات بل والأبناء ليس إلا من مخلفات الإنسان البدائى الذى احتاج

(١) لويس أجرى: الرومانسية أصولها وتطوراتها ص١٤، ١٥، ترجمة عفاف عبد الرازق.
(٢) د/ عبد العظيم صابر الفقى: اليهود والجنس وجها لوجه ص٣٨، ٣٩ – ط أولى ١٩٨٥م.
(٣) الكتاب المقدس صموئيل الثانى ٤/٢/١٣.
(٤) هذا التساؤل أجاب عليه العديد من نصوص العهد القديم، ومنها ما يتعلق بزنا الرجل بأرملة ابنه نظراً لأنها ليست عذراء وذلك تسويق الحماه لامرأة ابنها فى ممارسة الجنس حتى تجمع المال. راجع الكتاب المقدس، سفر اللاويين الإصحاح ١٣ الفقرات ١٥/١٦.

لإجراء المعاهدات والاتفاقيات التجارية خارج نطاق الأسرة عند ذلك منع نكاح المحارم وبما أن ذلك لم تعد له أهمية فإن هذا المعنى يسير أمر قد عفا عليه الزمان] [١].

إذن تكون القصة قد افتقدت عنصر الترتيب الأدبى والوصول إلى ما يعرف بالحبكة الفنية وهذا يبطل كونها قابلة للصياغة الفنية.

٥- إن هذه القصة حملت من أوجه السقوط ما يروج للجنس الجماعى ويعلن التهتك والعرى سواء أكان ذلك عن طريق النقوش التى تقام فى الأعياد أم فى غيرها، يقول التلمود: [اغرس فى ذلك اليوم من السنة شجرة سرور لمولودة وإن استسلمت بنت لرجل فى مساء ذلك اليوم أو فى تلك الأيام جلست فى هذا اليوم المعروف جلوساً خفيفاً على شجرة صغيرة قطعت من أجلها بعد نموها [٢].

أجل إن هذا النص وأمثاله قد تغذت به العقلية اليهودية وصارت تعمل على ممارسته بل ويعطى للحاخامات والكهنة الفرص المتعددة لممارسة هذه الشذوذات تحت أسماء دينية مما جعل زلمان يكررها فى كثير من مؤلفاته، فيقول فى إحداها طبقا لما نقله د/ فرج [للحاخام الحق أن يجرد البنت من ملابسها أمام الأحباء والأصدقاء ويعريها تعرية تسمح لأن يلامسها حتى تحمر وجنتيها][٣].

ومما يؤسف له أن تلك الأفكار الشيطانية باتت تدعمها كتابات تحمل أسماء دينية بغض النظر عن هويتها لكن المؤكد هو أن تلك الأفكار سقطت بأصحابها منذ زمن بعيد وفتحت طريق الدعاية فى الجنس الرخيص ومكنت لليهوديات فى أسواقه حتى بتنا يتربحن فيه من غير حد يقف عنده مستنداتهم فى ذلك هى النصوص المدونة فى الكتب التى بأيديهم، فالمرأة التى ترضى أن

(١) رفعت جواد: الإسلام وبنى إسرائيل ص٧٦ – ط رياض ١٣٠٤هـ ترجمة يوسف أوركيرى.
(٢) د/ محمد على البار: المدخل لدراسة التوراة ص٦٥ – ط أولى ١٩٨٣م.
(٣) د/ أحمد السيد فرج، اليهود واليهودية التاريخ، والعقيدة والأخلاق ص١٣٦، دار الوفاء ١٩٩٧م.

تمارس هذا الجنس المحرم إذا سألت عن ذلك كان جوابها أنها تفعل ما يأمرها به الكتاب المقدس وما سابقها إليه مما يحملون القداسة اليهودية [1].

والواقع أن هذه السقطات بجانب أنها عبرت عن التدنى الأخلاقى والسقوط الدينى فقد كشفت فى ذات الوقت عن أن مؤلفى تلك الأفكار لم يكونوا على وعى بما يقومون به وأن الفضيلة كانت عنهم بعيدة، أما الرذيلة فقد وقعوا فيها وشربوا منها وليس لديهم استعداد للتخلى عنها ولو أن الأمم وقفت لهؤلاء الموقف الأمثل لردتهم عن غيهم أما أنها تركتهم فمن الممكن أن تعلو فضائحهم وفى النهاية تدمر كل من يستجيب لهم وقديما قيل أكبر النار من مستصغر الشرر.

❁❁❁❁

(١) راجع أ.ن. بنيتون: الجنس تحت الطلب ص١٧٢، وراجع لكوفيه، فضائح اليهودية ص١٦٢.

الخاتمة

جرت العادة أن الأمور العلمية تكون لها خواتيم تمثل أبرز النتائج وأهم التوصيات وأوفى المقترحات بحيث يستفيد الدارسون من هذه وتلك وليس المراد أن تجئ النتائج حصريا وإنما يكفى أن تكون وافية بالغايات التى ارتبطت بها وبناء عليه فسأقدم ما يلى:

أولاً: أهم النتائج:

١- أن الدوافع الفطرية لها وجود فعلى داخل الإطار الإنسانى بغض النظر عن كونها أساسية أو أصلية أو ثانوية أو غيرها؛ لأن ذلك من السنن الإلهية، وسنن الله فيها فوائد كثيرة من حيث أن الشريعة ما جاءت إلا لمصالح العباد والله تعالى خلق الناس وطبعهم على تلك الدوافع التى تنتظم بها أمور حياتهم وتحقق من خلالها النفع فى دنياهم وآخرتهم.

٢- أن الدوافع من الناحية التوظيفية لها فوائد متنوعة نظراً لارتباطاتها المتعددة وذلك مما يكشف عن أهمية وجودها فاعله فى الكائن الإنسانى الحى أخذه له إلى نطاق التقدم والرقى.

٣- أن الدافعية بجانب أنها مما فطر الله الإنسان عليه فإنها ترتبط بها حكم ومصالح ومن ثم فالاستفادة منها تكون غائية قصدية بالنسبة للفرد الإنسانى نفسه وما يرتبط به وبناء عليه تكون سنة من سنن الله وواقع عملى يمكن الأخذ به والاسترشاد معاً.

٤- أن الدوافع فى العهد القديم تم توظيفها فى التراث اليهودى على غير تلك الجهة فهم استغلوها استغلالاً لا يتفق مع الوظيفة التى خلقها الله لها، وبذلك يخالفون الفطرة الإلهية من ناحية الصنع كما يخالفون الدوافع من ناحية التوظيف.

٥- أنهم نسبوا لله تعالى دافع حب البقاء مع أن هذا الدافع يرتبط بالمخلوق وليس بالخالق؛ لأن الخالق حى باقى فمن صفاته النفسية الوجود ومن صفاته

أيضاً الحياة وهو مانحها وبالتالى فمحاولتهم تطبيق دافع حب البقاء على الله تعالى إنما هى محاولة مقضى عليها بالفشل وتسم أصحابها أنهم يجسمون فى ذات الله ويشبهونه بغيره وهو ما عرف باسم الوثنيات التى تجرى فى عقول أصحابها.

٦- أن فهمهم لله تعالى على هذا النحو فيه ضلال عقدى وقصور معرفى وكفر بالله وآياته وذلك مما يؤكد أن التراث اليهودى الذى بأيدى أصحابه اليوم ما هو إلا أثر من آثار الوثنية صيغ على صورة دينية ليس لها نصيب من الوصف العنوانى.

٧- أن ما وصفوا أنبياء الله به على أى ناحية كانت إنما هى أوصاف للعناصر اليهودية حاولوا إسقاطها على المقامات السامية النبوية مما يؤكد أن التراث اليهودى وثنى فى أصوله وفى مقدماته كما هو وثنى فى مسائله وغايته، وبالتالى يسقط عنه الوصف بأنه مقدس أو أنه فكر صحيح.

٨- إن بحث هذه المسألة تحت ذلك العنوان يعطى انطباع عاماً بصيغة التراث اليهودى ومدى ارتباط ماضيه بحاضره حتى يحذر الناس من الاقتراب المباشر أو غير المباشر منه أو الالتفات حوله فكثيراً ما يوضع العسل فى السم، وربما أتت لفحة من لهيب النار أكلت كل ما حولها نظراً لأنها قد أغضبت الواحد القهار.

ثانياً: التوصيات:

١- إعادة النظر فى التراث اليهودى وبخاصة المصادر الأساسية « العهد القديم – التلمود – البروتوكولات »، واعتبار هذه المصادر ممثلة لليهودية السياسية التى قامت بعد نبى الله موسى عليه السلام وتشعيب بين القرائون والصدوقيون والفريسيين وغيرهم.

٢- أن ينظر إلى هذا التراث نظرة من خلال ما تحمله مفرداته ومطابقتها مع الواقع فى إحدى صورتيه، أما صورة الحاكى العقلى الذى يصدق بالبديهيات

ويرفض الجدليات. أو صورة الباحث الاستقرائى الذى ليبحث عن علاقة الواقع بالفكرة المطروحة والآثار المترتبة عليها.

٣- مراعاة البعد الذى ينتج عن سيادة تلك الأفكار على الناحية الاجتماعية والاقتصادية السياسية لأن بعض الدوافع استخدمت لدى اليهود حتى يجمعوا أموال الآخرين دون نظر إلى الوسائل ومن غير بحث عن مشروعيتها أو عدم المشروعية، وفى هذا النوع من العدوان على الوقائع والتسليم بها يمثل نوع من استهلاك القدرات الإنسانية المتعالية والنزول بها إلى طبيعة الأرصدة التى لا يوجد لها غطاء حقيقى من الواقع العلمى أو من ناحية الشرعية.

٤- إعادة صياغة العقل الواعى الذى يقدس نصوص العهد القديم ويتصور أنها من عند الله جاءت بحيث تكون تلك الصياغة منهجية تستجلى الواقع وتعمل على مطابقة النصوص للأحداث وتسمح بالوصول إلى نتائج صحيحة أو تنال حظاً كبيرا من القبول.

٥- أن تقوم دراسات علمية متعددة تتناول التراث اليهودى على ذات الجوانب الجديدة فى التناول كمسألة الدافعية مثلا ومسائلة العدوانية ومسألة التبرير كلها مسائل توجد بين أسفار العهد القديم كما تظهر لها ترجمات واضحة فى حياة العناصر الإسرائيلية وبخاصة تلك التى تدعى الأصولية وهذا إذا تم بحثه داخل أطر معرفية فلا شك أنه سوف يقدم خدمات بحثية تعين الدارس فى مقارنات الأديان كما تمهد لغيره ممن يعملون فى مجال الأخلاق والدراسات التربوية.

٦- إن الأثر الإسلامى واضح فى بعض صور التراث اليهودى ولذا فإن الدراسة توحى ببحث هذه الجوانب ففى ذلك خيرا للباحث المسلم كما هو خير للباحث فى مقارنة الأديان.

ثالثاً: المقترحات:

يعتبر المقترحات عبارة عن رؤوس موضوعات تصلح لتكون نواة لرسالة أو بحث علمى طبقا لما وقفت عليه الدراسة أثناء السير فى هذا الطريق ومن أبرزها:

١- ظاهرة التبرير فى سفر التكوين وخطرها على التربية.
٢- الرؤية العلمية لخلق السموات والأرض فى سفر التكوين.
٣- ظاهرة الدافعية والنزعات فى العهد القديم دراسة مقارنة.
٤- مدى ارتباط السلوكيات اليهودية بالنصوص الكتابية.
٥- طريقة صياغة العهد القديم ومطابقتها بالمنهج الاستنباطى.
٦- الواقعية والخيال فى سفر اللاويين .
٧- البناء القصصى فى سفر صموئيل دراسة معاصرة.

أهم المراجع والمصادر

أولاً: القرآن الكريم.

ثانيا: الأحاديث النبوية الشريفة.

ثالثاً: الكتاب المقدس « الأسفار المقدسة ».

رابعاً: المصادر والمراجع:

١- **ابن خلدون:** العلامة أبو زيد عبد الرحمن بن محمد: المقدمة، طبعة دار الشعب بدون تاريخ.

٢- **ابن منظور:** العلامة أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب – ط ٤ ١٩٨٥م.

٣- **ابن يحيى:** السموأل: بذل المجهود فى أفحام اليهود تحقيق د/ محمد عيد الشرقاوى – ط دار الهداية ١٤٠٦هـ.

٤- **أبو الليل:** د/ فوزى السيد: عبادات وعادات قديمة – ط أولى ١٩٦٥م.

٥- **بلهى:** إيميل: الإدارة الدينية والفلسفية لفيلون. ترجمة محمد يوسف، عبد الحليم النجار، مكتبة الحلبى ١٩٥٤م.

٦- **التل:** عبد الله: خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية – ط دار العلم ١٩٦٤م.

٧- **الجرجانى:** العلامة أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد،

أ – التعريفات – ط الحلبى ١٣٥٧هـ – ١٩٨٣م.

ب– حاشية على مطالع الأنظار على طوالع الأنوار – ط درب سعادة ١٣٠٥م.

٨- **حسب الله:** د/ على أصول التشريع الإسلامى – ط ٤ دار المعارف – القاهرة.

٩- **حكمت الله:** الشيخ على محمد، العقائد الوثنية – ط أولى ١٩٢٥م.

١٠- **الخضيرى:** نجيبة: علم النفس الأخصائى النفسى – ط أولى ١٩٧٢م.

١١- **خليل:** فوزى على: المصطلحات الفلسفية – ط أولى دار الوفاء – بيروت ١٩٧١م.

١٢- **دروزة:** د/ محمد عزة، تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم. المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت ١٩٦٩م.

١٣- **الدوانى:** مصطفى: حديث فى الطب – ط الكاتب العربى للطباعة النشر فى مصر ١٩٦٩م.

١٤- **راجح:** د/ أحمد عزت، أصول علم النفس – ط ٧ دار الكاتب العربى بالقاهرة ١٩٦٨م.

١٥- **الزاوى:** الطاهر أحمد: مختار القاموس – ط أولى، الحلبى ١٩٦٤م.

١٦- **رفعت :** د/ محمد، قاموس الرجل الطبى – طبعة دار الهلال القاهرة.

١٧- **الزمخشرى:** العلامة أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمى، أساس البلاغة، مطابع الشعب، بدون تاريخ.

١٨- **سبع:** توفيق محمد، قيم حضارية فى القرآن الكريم عالم ما قبل القرآن – ط دار المنار بالقاهرة.

١٩- **سلطان:** عبد العظيم سيد، دراسات فى اليهودية – ط ١٩٣٧م.

٢٠- **السعد:** محمد عبد العظيم الإثناوى، زبدة الأقاويل فى التوراة والإنجيل الطبعة الميمنية ١٤١٢هـ.

٢١- **الشاطبى:** العلامة إبراهيم بن موسى بن محمد الاعتصام – ط مكتبة الأسرة ٢٠٠٩م.

٢٢- **الشرقاوى:** محمد عبد الله، الكنز المشهود فى فضائع التلمود، مكتبة الوعى الإسلامى مطالع سجل العرب ١٩٩٠م.

٢٣- **الشهرستانى:** العلامة أبو الفتح عبد الكريم، نهاية الإقدام فى علم الكلام، دار الكتب العلمية، تحقيق أحمد فريد المزيدى، محمد حسن إسماعيل.

٢٤- **الصابونى:** الشيخ محمد على، مختصر تفسير ابن كثير، دار القرآن الكريم – بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.

٢٥- **صبرا:** زكى يونس: الدوافع النفسية وآثارها على السلوك العام – ط أولى ١٩٨٥م.

٢٦- **صليبا:** جميل، المعجم الفلسفى – ط ١٩٨٢م.

٢٧- **طه:** د/ فرج عبد القادر، أصول علم النفس الحديث – ط أولى ١٩٨٩م، دار المعارف.

٢٨- **طه:** د/ محمود عبد المقصود، الدوافع الإنسانية وموقف علم النفس العام منها – ط أولى ١٩٨٥م.

٢٩- **عبد الباقى:** محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن – ط مكتبة الغزالى بدمشق، توزيع مؤسسة مناهل العرفان – بيروت.

٣٠- **عرفان:** محمد محمود، دور الغدد فى بناء الجسم – ط أولى ١٩٨٣م.

٣١- **عكاشة:** أحمد، علم النفس الفسيولوجى – ط ٨ دار المعارف ١٩٨٦م.

٣٢- **عوض:** عباس محمود، علم النفس العام، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٩م.

٣٣- **غرام:** عبد الرحمن، الرسالة الخالدة، لجنة التعريف بالإسلام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٩٤م.

٣٤- **الغزالى:** محمد حسين موسى محمد الغزالى، قضايا حديثة فى الفلسفة الحديثة – ط ٢، ١٩٩٧م.

٣٥- **الفقى:** د/ عبد العظيم صابر، اليهود والجنس وجهاً لوجه – ط أولى ١٩٨٥م.

٣٦- **فهمى:** د/ مصطفى، الدوافع النفسية – ط ٥ مكتبة مصر ١٩٦٠م.

٣٧- **الفيومى:** أبو العباس أحمد بن محمد بعلى، المصباح المنير – ط ٢، المطبعة الأميرية ١٩٠٩م.

٣٨- **كاسبل:** ليوت، التورات كتاب مقدس، أم جمع من الأساطير، ترجمة د/ حسان ميخائيل – ط أولى، بدون تاريخ.

٣٩- **متولى:** حسن، مذكرة التوحيد، مكتبة الكليات الأزهرية ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٠م.

٤٠- **محمد:** عبد الراضى، التطرف اليهودى، تاريخ أساسه ومظاهره، وعلامته، دار التوعية الإسلامية – ط أولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م

٤١- **المعلم:** عادل، التوراة والقرآن مقارنة نصية – ط أولى طبعة الشروق، ١٩٩٩م.

٤٢- **موارى:** إدوارد الدافعية والانفصام – ط دار الشروق، ترجمة هانى صابر.

٤٣- **ناصف:** عصام الدين حنفى، محنة التوراة على أيدى اليهود – ط ألى مطبعة الرسالة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

٤٤- **نجاتى:** محمد عثمان، القرآن وعلم النفس – ط ١٩٨٢م.

٤٥- **اليسوعى:** الأب معلوف، المنجد فى اللغة والأديان ولعلوم – ط ١٩، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.

٤٦- **اليسوعى:** وليم سيدهم، لاهوت التحرير سلسلة الفكر ٢٠٠٨م.

❁❁❁❁